كتاب الحياة

أنا لست مجنونة

قصة

أمين العزب

الناشر دار الحياة .. ٢٢ ش عبد الخالق ثروت ت : ٣٩٣٩٨٧٠

إهـداء

اهدي كتابي الثالث الي من ألهمتني وأوحت لي بكتابة هذه الرواية (أنا لست مجنونة) وهي البطلة الحقيقية

(واهديه ايضا إلي .. كل من قرأ كتابي الأول (اللاعبة بالنار) وكتابي الثاني (المراهقة والعجوز) وحرص علي أن ينتظر هذا الكتاب الثالث.

(واهديه ايضا الي .. القاريء العزيز الذي يقرأ لي لأول مرة لعله يكون دافعا ليبحث عن كتابي الأول والثاني

(واهديه ايضا الي .. كل زملائي الادباء والسادة النقاد وأرجو أن يحوز إعجاب الجميع .. والله ولي التوفيق.

أمين العزب

تقديم

لم يقدمنى لقرائى الأعزاء كاتب كبير كما جرت العادة عندما يقدم أى كاتب جديد عمله الأول ..

فضلت ان أقدم نفسى بنفسى لهم .. معتمدا على الله وعلى رأيهم وتقديرهم وتقييمهم لأعمالى..

والحمدلله.. فقد استقبلنى قرائى الاعزاء احسن استقبال. عندما قدمت لهم كتابى الأول (اللاعبة بالنار) وكتابى الثانى (المراهقة والعجوز) حيث جاءنى منهم على عنوانى خطابات كثيرة بالمدح والثناء.. واثلجت صدرى كلماتهم الرقيقة التى بعثوا الى بها واننى مهما تبحرت فى علوم اللغة والبلاغة واللفظ لأوفيهم حقهم فى التعبير عن شكرى وتقديرى لهم فلن استطيع الى ذلك سبيلا. الا اننى اقول لهم والدموع تترقرق فى عينى من فرط سعادتى ونشوتى. شكرا لكم جميعا ..

انكم اعطيتمونى اكثر من حقى ..
ثم جاءتنى من بعضهم خطابات ينقدون فيها اعمالى ..
وانا سعدت لذلك كثيرا لأنه نقد بناء .. ومهما كان
رأيهم مخالفا لرأيى فأنا رحبت به وتقبلته بصدر رحب
لأن رأى السادة القراء .. مع رأى السادة النقاد سواء
كان بالذم أو المدح فهو لصالح الكاتب .. هو اكبر دفعة
له للتجويد والوصول الى الأحسن والأمثل.. وان
الاختلاف فى الرأى لايفسد للود قضية وفى نهاية
تقديمى أقول للسادة القراء وللسادة النقاد الاعزاء إننى
ارحب برأيهم مهما كان فى كتاباتى لأننى جاعل
القارىء هو . الشريك فيما اكتب وهو الحكم فيما يقرأ ..
والله ولى التوفيق ،،،

******

امين العزب

أشواق ابنة الثانية والعشرين من عمرها .. علي جانب كبير من الجمال ببشرتها الشقراء وشعرها الاصفر الناعم كسبائك الذهب .. وعينيها الواسعتين الزرقاوتين بزرقة السماء الصافية وشفتيها المكتنزتين كحبة النبق .وباقي تقاطيعها الصغيرة ..

تهبط سلم العمارة بقدميها الصغيرتين بالرغم من وجود الاسانسير في خفة ورشاقة ومرح الشباب يعلو وجهها ، تخرج من باب العمارة لتجد أن الاسطي عزت سائق السيارة الاجرة ينتظرها كعادته لتوصيلها الي كلية التجارة بجامعة القاهرة .. تلقي عليه تحية الصباح .. يستقبلها عزت بابتسامته العريضة التي تملأ كل وجهه.

انتظم عزت طوال الثلاث سنوات الماضية وعدة شهور من السنة الرابعة في توصيل اشواق من بيتها بشارع ابو الفدا بالزمالك الي كليتها والعودة بها بعد الانتهاء من اليوم الدراسي نظير راتب شهري ..

عزت شاب اسمر الوجه ، غزير الشعر ، واسع العينين في الثلاثين من عمره .. متوسط الوسامة .. ذو منكبين عريضين .. سامق كعود القصب .. وله شارب مهذب .. عزت يمتاز بجرأة نادرة ، وروح خفيفة جذابة يحس تفتحا وانطلاقا . اذا تحدث إلي فتاة أو امرأة أو حتي إلي سيدة عجوز ..كان يجد لذة في مداعبة الجنس الآخر .. ويساعده علي ذلك عمله كسائق تاكسي ..حيث كان

كثيراما يجد في بعض الراكبات معه بغيته .وعلي وجه الخصوص أشواق .فهو يرتاح اليها عندما يراها ولكنه لايحب ان يظهر لها هذا الارتياح كنوع من الثقل .. ولكنها كانت تلاحظ بحاستها الانثوية ارتياحه لها من خلال تصرفاته معها .. ونظراته لها التي كانت تفضحه.. كانت تسعد في نفسها لهذا الارتياح .وكانت ترتاح له هي الأخري.ولكنها لم تجد تفسيرا لهذا لارتياح هل هي تحبه أم لا ؟ هل ارتياحه لها هذا يعني انه يحبها ..؟ انها غير متأكده من ذلك ..

******

خرجت اشواق من الجامعة وهي تضم كتبها الي صدرها .. وسارت في خطوات سريعة ، وهي تزاحم الطلبة بثوبها الواسع الي مكانها المعتاد امام الجامعة .. وبعد فترة وجيزة انتابها قلق لعدم انتظار الاسطي عزت لها كعادته امام الجامعة .. وأخذت تدق الارض بقدمها دقات عصبية ، وتتطلع حولها بعينين لاتهدأن ، ثم تزيح خصلة من شعرها تدلت ولصقها العرق فوق خدها .. ولم تنتبه الي العيون التي ترمقها.. ولم تشعر بالشاب الذي يتسكع حولها ، كانت تبدو شاردة الفكر..جاء الاسطي عزت بالتاكسى، لم تعاقبه أو تؤنبه على تأخيره.. بل اندست فى صمت مطبق فى السيارة وظلت شاردة الفكرحتى اضطر عزت إلى تنبيهها قائلا:

-إلى أين يا آنسة أشواق..؟
قالت بعدم مبالاة:
- إلى البيت..
قال معترضا:
-لكن!
قالت مقاطعة فى شىء من الدهشة:
- ماذاجرى لك يا أسطى عزت..؟ أنسيت أنك توصلنى كل يوم إلى البيت بالزمالك؟
قال متراجعا:
- لا.. لم أنس.. ولكنك أحيانا تشترين بعض الحاجات قبل ذهابك إلى البيت ولهذا السبب أنا أسألك إلى أين.؟
قالت بجدية وحزم:
- إلى البيت
قال بدهشة بعد أن لاحظ جديتها وحزمها
- ما بك ياآنسة..؟ إنى أرى وجهك عابسا وفى حالة ضيق شديد.. أهناك أحد اعترضك أو ضايقك اليوم ..؟
قالت وابتسامة باهتة ترتسم علي شفتيها :
- لا .. ولكني مرهقة بعض الشيء..
قال مازحا :

بعض الشيء فقط ..؟ انني لم أرك منذ عرفتك بهذا الشكل العابس .. فإن المرح ، والبهجة ، والسرور ، هم أهم سمات عندك .. وانطلقت السيارة مع اشارة المرور الخضراء في شارع حديقة الأورمان .. وساد بينهما صمت دام خمس دقائق .. كانت فيها اشواق تحاول جمع شتات افكارها ثم قطع عزت هذا الصمت محدثا اشواق قائلا :

أتسمعين شيئا من الموسيقي الهادئة لتهدأ اعصابك ٠

قالت في امتنان

أكون شاكرة ..

أدار عزت لها التسجيل وارتاحت نفس اشواق بعد سماعها الي الموسيقي الهادئة وبدت كمن أسرها اهتمامه المباشر بها وقالت :

ألهذا الحديهمك هدوء أعصابي وراحتي ..؟

قال بابتسامته العريضة :

– نعم ياسيدتي .. أتشكين في ذلك ..؟

قالت وهي تنظرله بنظرة إمتنان وشكر :

– لا .. عموما أشكرك علي اهتمامك براحتي ..

وارتخت اعصاب اشواق ارتخاء لذيذا ..

وظلت في هذا الاسترخاء اللذيذ .. ثم تعالت فجأة دقات قلبها والسيارة تركن وتعبر شارع ابو الفدا بالزمالك بين السيارات

المارقة بمهارة واعية حتي بلغت الطوار الآخر سعيدة بصفير الاعجاب المنطلق من بعض راكبي السيارات والمتسكعين علي الطوار بينما كان عزت يغلي من نار الغيرة عليها .. ولم تنس اشواق عند نزولها من السيارة أن تشكر الأسطي عزت ، وسارت اشواق علي الطوار بخطوات سريعة وهي تكاد تجري، دخلت العمارة التي تقطن فيها والفرحة تعلووجهها.. وسرعان ماكانت في المصعد الذي تأملت نفسها في مرآته مستمتعة بجمالها الوحشي المتدفق من بشرتها البيضاء ، وعينيها الزرقاوتين الواسعتين العميقتين عمق آبار الأساطير ، وشعرها الاصفر الناعم اللامع كسبائك الذهب المنهمر علي ظهر فستانها الأزرق بلون عينيها .. وسرعان ماوصل المصعد الي الدور الخامس .. وخرجت منه واتجهت الي شقتها .. وضغطت علي الجرس .وظلت ضاغطة يدها عليه وهي تقفز في وقفتها ، فتحت الباب عواطف الخادم خفيفةالظل ..حلوة التقاطيع، تحمل بين شفتيها ابتسامة واسعة ، دخلت اشواق وهي تصيح :

- ماما .. ماما .. ياماما ..

وعندما لم تجبها أمها سألت عليها عواطف قائلة :

- أين ماما .؟

قالت عواطف :

في غرفتها ياسيدتي ..

وصاحت اشواق وهي تجري نحو غرفة أمها ..!!

- ماما .. ماما ..

ثم أطلت علي أمها من الباب ، واستطردت في خفة دم وتدلل

- لقد حضرت ياماما

قالت الأم وهي تضم ابنتها الي صدرها وتقبلها في خديها :

- لقد عدت لي يابنتي الحبيبة بسلامة الله ..

قالت اشواق مازحة :

- هذا بفضل الاسطي عزت وسيارته التي تسيربنا بسرعة هادئه وكأننا في نزهة

قالت الأم بدهشة :

- وكأنكما في نزهه ..؟ أنت والاسطي عزت !!؟

قالت أشواق :

- نعم .. أنا والاسطي عزت ..

قالت الأم ساخرة :

- وبأي صفة يتم ذلك ..؟

قالت اشواق :

- بصفتي زبونه وبصفته سائقا ..

قالت الأم بخبث :

أرجو الا تتجاوزا ذلك ..

تخرج اشواق من غرفة أمها وهي تنظر لها بنظرة تنم علي أنها تفهم ماتعنيه .. وسارت نحو غرفتها ، وقفزت خطوتين ، ودخلت غرفتها وأغلقت الباب وراءها ، وألقت بكتبها علي التسريحة ثم ألقت بنفسها فوق فراشها دون ان تخلع ثيابها وتنهدت في افتعال ... واعتدلت جالسة فوق الفراش .. ثم خلعت فردة حذائها وظلت ممسكة بها في يدها .. وشردت بفكرها .. شردت في لاشيء .. كأنها تبحث عن نفسها فلا تجد إلافراغا .. ثم لمحت أحد ادراج الدولاب مفتوحا ، فرفعت فردة الحذاء وصوبتها ناحية الدرج المفتوح ، وأطلقتها .. ولكن فردة الحذاء لم تستقر في الدرج .. وقعت علي الأرض .. فقامت تسير بفردة حذاء واحدة ، والتقطت الفردة الأخري ، وعادت بها الي الفراش ، ثم رفعت يدها بفردة الحذاء وصوبتها مرة ثانية ناحية الدرج المفتوح .. واطلقتها .. واستقرت فردة الحذاء في الدرج .. فابتسمت كأنها طفلة صغيرة ثم خلعت فردة الحذاء الثانية ، وصوبتها ناحية الدرج .. واطلقتها فاستقرت فيه ايضا .. واتسعت ابتسامتها ..

ثم صاحت بأعلي صوتها تنادي الخادم

- عواطف .. ياعواطف ..

وفتحت الخادم الباب ، قائلة:

- نعم ياسيدتي

قالت اشواق :
- اريد ان تغلقي شيش الحصيربكل نوافذ الغرفة ..
وطافت عواطف بالنوافذ تغلق شيش الحصيرة الخاص بها .. وساد الغرفة ضوء خافت مريح .. وهدأ اللهب فيها .. وخلعت اشواق ثوبها بسرعة ، وقلبته ثم وضعته فوق ظهر احد المقاعد الموجودة بالغرفة .. وظلت بالقميص الداخلي .. ذراعاها وصدرها عرايا ..
ثم همت الخادم لتخرج من الغرفة بعد ان أتمت مهمتها وهي تسأل اشواق قائلة :
- أي خدمة أخري ياسيدتي ..؟
قالت اشواق :
- لا .. وأرجو ان تخبري ماما بأنني سوف أستذكر دروسي هنا في غرفتي لحين تجهيز وجبة الغذاء.. لقد قرب الامتحان وعلي الا أهمل في استذكار دروسي .. قالت الخادم مستفسره : - متي يكون امتحان سيدتي اشواق .. ؟
قالت اشواق :
يوم السبت القادم ..
قالت الخادم :
- اذن لم يبق لسيدتي الا اسبوع واحد .. ؟
قالت اشواق :

نعم ياعواطف .. انها آخر سنة بكلية التجارة واريدها أن تمرعلي خير .. قالت الخادم :

أرجو لسيدتي النجاح والتوفيق وعندما تنتهين من الامتحان تعلميني القراءة والكتابة .

قالت اشواق وهي تبتسم :

– ياذن الله .. ادعي لي أنت بالنجاح وأنا أعدك الا اتركك الابعد ان تجيدين القراءة والكتابة ..

قالت الخادم في فرحة شديدة :

– انني سأدعولك ليلا ونهارا .وأرجو ان يستجيب الله لدعواتي ..

خرجت عواطف ، وابتسامة مرحة فوق شفتيها واغلقت الباب وراءها واستدارت اشواق تستذكر دروسها .. وعندما تم تجهيزوجبة الغذاء نادت عليها أمها لكي تتناول وجبتها معهم ..

قالت الأم علي الغذاء لأشواق :

– بهيجة هانم سوف تزورنا غدا ..

قالت اشواق وكأن الأمر لا يعنيها :

– وماذا في هذا ..؟ أهلا وسهلابها ..

قالت الأم وهي تتنهد كأنهاتستعين بانفاسها علي ابنتها المدلله:

– ماذا سنقول لها ..؟

قالت اشواق وبين شفتيها ابتسامة مغرورة :

- قولي لهم « لا تعطلوا انفسكم » .. ابحثوا لابنكم عن عروس غيري ..

قالت الأم وهي تحاول ان تتغلب علي ضعفها امام ابنتها ، تحاول ان تبدو جادة -أنا أتحدث معك في جدية تامه .. لابد وان نعطي لبهيجه هانم ردا علي طلبها الذي مايزال معلقا اكثر من عام .. وهي لم تيأس ومازال عندها الأمل في موافقتك علي زواجك من ابنها عادل !!

قالت اشواق في خبث :

- ماذا تريدين ان اقول لها .. ؟

قالت أمها في صراحة تامة :

أتريدين ان تتزوجيه أم لا ..؟

قالت اشواق في عصبية :

- وهل هذا الوقت لائق للكلام عن الزواج ؟.. الامتحانات علي الابواب ياماما .. وانت تشغلينني عن استذكار دروسي بالكلام عن الزواج !!

قالت الأم مستفسرة :

ماذا تعنين ..؟

قالت اشواق وهي تراوغ أمها:

أعني ان نترك الكلام في هذا الأمر الي مابعد الامتحان والنجاح !

قالت الأم في حدة وانفعال

- انك تراو غينني كعادتك .. هي كلمة واحدة .. تريدين أن تتزوجيه أم لا ..؟

لم تجبها اشواق :

قالت الأم مستطردة وكأنها تعرف خبث ابنتها :

يعني لاتريدين ابداء رأيك بلا أو بنعم ؟

قالت اشواق وهي تزفرفي ضيق وزهق

أوه .. ارجوك ياماما وحياتي عندك ان نترك هذا الموضوع الي مابعد الامتحان ..الامتحان لم يبق عليه سوي اسبوع واحد .. وانا اريد ان اتفرغ للمراجعة النهائية .

تنهدت الأم ، ثم قالت وهي تقوم من جلستها بشيء من التهديد والوعيد :حاضريا اشواق .. سنترك هذا الموضوع الي مابعد الامتحان .. وليكن في معلومك أنني لن أكلمك في هذا الموضوع بعد الامتحان .. ولكن الذي سيكلمك فيه أبوك. قامت اشواق من جلستها وسارت الي مكتبها الموجود في غرفتها وجلست خلفه واخذت تفتح أول كتاب تستذكر فيه دروسها ..

******

مرت الأيام السبعة باشواق ودخلت الامتحان ونجحت وحصلت علي تقدير جيد جدا في بكالوريوس التجارة .. وطار الاسطي عزت

سائق التاكسي من علي الأرض فرحا عندما سمع منها خبر نجاحها .. وأقسم بأغلظ الايمان ان تقضي اشواق معه وقتا بسيطا في احد الكازينوهات الموجودة علي النيل .. للاحتفال بهذه المناسبة السعيدةوامام اصرار عزت وافقت اشواق .. وهناك حدث مالم يكن في الحسبان .. ومالم تكن اشواق تتوقعه ابدا من الاسطي عزت .. كانت مفاجأة مذهلة حيث قال لها صراحة إنه احبها حباجارفا لا تهدأ حرارته ابدا ..أحبها بكل كيانه ومشاعره واحاسيسه دون ان يشعر بالفارق الاجتماعي الكبير الموجود بينهما .. وطلب منها الاتضن عليه بموعد لقاء آخر .. ولم تجبه علي طلبه بفمها ولكنها اجابت عليه بالموافقة بعينيها ..

وذهبت الي بيتها وهي نشوي ، فرحة ، نشطة نشاطا غير عادي .. لقد انتفضت دماء الشباب حارة في عروقها بعد ان جمدها عادل في عروقها بحيائه الشديد وارتباكه امامها وتلعثمه .. ولم تفك عقدة لسانه ويحدثها حديث الحب والهيام مثل مافعل معها الاسطي عزت .. لقد وجدت في عزت بغيتها .. لقد وجدت عنده ما افتقدته عند عادل .. لقد منحها عزت الحب الذي لم يمنحه لها عادل وتنفرد اشواق بنفسها في غرفتها .. ولكنها تشعر بالتعب فتقوم لكي تحرك اعضاءها قليلا في الغرفة ، ثم تقف امام النافذة .. صدفة ؟..أليس كذلك ؟.. وتتمطي وهي تحس بصدرها يرتفع في دغدغة

حلوة .. ثم تلتفت الي المرآة ، وهي لاتزال تشد يديها خلفها .
ماأروع صدرها .. حديقة غناء .. اثنان في تمام نضجهما . وكأن لم تعبث بهما يدمن قبل .. للأسف ..
وتزيد من فتحة الروب عند نحرها شيئا فشيئا ثم تتحسس ثمرتيها النافرتين وهي تحس بخدر لذيذ..ثم تعبث بتلك الخصلة النافرة في مـقـدم رأسـهـا وتنفـخـهـا في الهـواء . وتخلع الروب وتبـقي بالقميص..القميص الحرير الشفاف الذي افتتنت في صنعه .وتقف امام المرآة وهي تتحسس كنوزها المطمورة..
وتخيلت بأن عزت يطل عليـها من أحد جوانب المرآة العلوية .. فأصاب وجنتيها هذا الاحساس حمرة وخجلا .. أخذت علي إثرة بالاسراع في ارتداء روبها .. ثم تلف نفسها بملاءة السرير البيضاء الناصعة لتتحشم امام عزت .. الذي تراه امامها بشحمه ولحمه يطل عليها من المرآة وكأنه صورة حية حقيقية وليس خياله ، وبعد ذلك اخذت تفكر في عادل ابن الست بهيجه جارتهم ...
إنها في حيرة من أمرها .. وأخذت تتساءل : لماذا لم يحاول عادل ان يحدد معها موعد لقاء كما يحاول الاسطي عزت؟. لماذا ياربي ؟ لماذا لايحاول ان يملأحيا تها بالحب والمغامرة ، لماذا لايحاول ان يملأ احلامها ، قبل ان يملأها غيره .. ؟ ولكن ، لا .. انه لايسألها عن موعد لقاء ، ولكنه يسألها عن عنوان بيتها حتي يذهب ويجلس

مع أبيها وأمها ، وكأنها وحدها - بغير ابيها وامها - لا تستحق ان يجلس معها في موعد مختلس .. كأنها صفقة يتفق عليها مع الأب والأم .. لا .. انها لن تستجيب الي هذه الحياة .. لن تضيع عمرها دون مغامرة حب .. ستنطلق .. ستنطلق مع عزت وتصرف النظر عن عادل .

******

انطلقت اشواق مع الاسطي عزت .وتعددت اللقاءات بينهما ومن خلالها أحس الاثنان بسيال كهربي يسري بين فؤاديهما . كما شعرا بتجاوب مريح فاضت به اعينهما قبل ان تنطق به شفتاهما بأيه همسة .. ونشأ انسجام كبير بينهما .. واخذت الايام تزيده قوة وكأن هناك قوة خفية تدفع كلا منهما نحو الآخر .. وكانت فكرة الزواج من عزت تراود اشواق دائما .. وكانت في كل مرة تسأل نفسها : هل يوافق اهلها علي زواجها منه ..؟ لقد اصبحت لا تطيق البعد عنه .. ولكنها في حيرة من امرها .. خائفة من رفض اهلها لعزت .. انها قد احبته بجنون دون ان تشعر بالفارق الاجتماعي الكبير الذي بينهما .. كانت تشعر بسعادة لاتوصف عندما يكون بجانبها.. وكانت تقول له بعينيها مالم تستطع ان تقوله له بلسانها.

******

وذات يوم حدثته اشواق حديثا مفعما بالحب والغبطة والسرور وهي

تعدد خصاله وسجاياه الحميدة ..
قال عزت لها بعد ان سره وأسره كلامها معبرا عن سعادته ونشوته : من الكلام مايستساغ كالشهد المصفي .. ومنه مايقذف به فيكون أشد من الحجارة قسوة .. قالت اشواق في دلال :
وكلامي من أي صنف ..؟
قال في حب :من الصنف الأول ياحبيبتي .. يامهجة قلبي وروحي .. ياأعز علي من نفسي .. سرت اشواق مما سمعت من كلام عزت حيث تملأ الفرحة والنشوة وجهها .. ثم ضحك الاثنان ضحك طفلين يحلمان بالسعادة الابديه .

***

وذات يوم جلست اشواق مع نجوي صديقتها التي تناهزها في العمر وأخذت تحكي لها عن حبها لعزت .. وحب عزت لها .. وحكت لها كم عشق عزت كل مافيها .. وانه احبها دون ان يشعر بالفارق الاجتماعي الذي بينهما .وهي ايضا عشقته لكل شيء فيه .. وانها أحبته دون ان تشعر بالفارق الاجتماعي الذي بينهما .. وقالت لها ايضا كم عشق عزت عطرها المفضل النفاذ .. وكم استعادته أنفه في غيابها ؟! وكم أضاءت عيناها ظلام لياليه ؟! وكم طبع كل لمحة وكل لفتة وكل حركة وكل ابتسامة وكل ومضة في مخيلته التي احالها الي معمل لطبع كل صورها والاحتفاظ بها ملونة حية ؟! وكم

.. قاطعتها صديقتها نجوي مهللة ومازحة :
ماكل هذا ياصديقتي العزيزة .. انك تكادين ان تكتبي في عزت هذا شعرا .وضحكت اشواق ملء شدقيها وشاركتها نجوي في الضحك.

******

ومرت الأيام باشواق وعزت مترعة بالغبطة والسرور .. لم تمنحه فيها اشواق سوي حضنها وشفتيها ، كانا يتباد لان القبل والاحضان فقط ..
وذات يوم قررت اشواق ان تتزوجه بعد ان منحها الحب ، وملأ حياتها وقلبها ، وعليها ان تواجه اهلها .. كما ان عزت قرر هو الآخران يتزوجها ..لا لأنه يحبها .. ولكن لانه حاول كثيرا ان ينالها دون زواج فلم يفلح .. كانت ترفض بشدة واصرار وتقول له « كفي ماتناله من القبل والاحضان » ومع ذلك لم ييأس من ان ينالها .. انه حاول بعد ذلك مرات ومرات بغير جدوي .. وعندما عجز علي نيلها .. فهم انها من اللائي يردن الزواج لذلك قرر ان يتزوجها . وفي حديث حول هذا الموضوع قال عزت لأشواق : ولكن هناك عقبات كثيرة ستواجهنا ..؟
قالت :سنواجهها بكل قوه
قال : كيف ..؟ كيف تواجهين اهلك اذا اعترضوا علي ..؟
قالت لن يعترضوا امام توسلاتي .. وسأفصح لهم عن شدة رغبتي

في الزواج منك .. قال :

وعادل الذي يريدون ان يزوجوك منه ..؟

قالت :

لن ارضي بغيرك بديلا .. فالزواج ليس بالاجبار

قال عزت :

كثيرا ما يخدع الانسان نفسه .. يطمع فيما لا مطمع فيه .. ويأمل فيما لاأمل منه .. لكن هي الحياة .. روحها الأمل .. فإن ضاع .. فقدت الحياة روحها .. ولذا سنستمر في خداع انفسنا مادمنا علي قيد الحياة .. كثيرا مانري اجسادا تتحرك دون ارواح .. ونشعر بارواح ترفرف حوالينا دون اجساد ..

وانتهت اشواق من حديثها مع عزت .. وجاءت الساعة الحاسمة حيث اجتمعت اسرتها المكونة من الأب والأم والأخ لوضع حد .. لمرا وغتها في الزواج من عادل – وقالت لهم في جراة وفي لهجة حاسمة ..

انا لن اتزوج من عادل

قال الأب في دهشة بالغة :

ماذا تقولين ..؟ أجننت ..؟

قالت اشواق

انا لم اجن .. هذه هي حياتي ومن حقي ان اختار الانسان الذي

يشاركني فيها وارتاح اليه
قالت الأم ساخرة ..
ومن هو هذا الانسان ..؟
قالت اشواق وكأنها فجرت قنبلة
الاسطي عزت :
قالت الأم متسائلة في دهشة إلي حد الذهول: سائق التاكسي ؟ ..
قالت اشواق بلا مبالاة : - سائق التاكسي (قال الأب في غضب وانفعال شديد :
أكيد انك قد اصبت بالجنون .. تتزوجين من السائق الذي أجرناه لكي يوصلك الي الجامعة ويعودبك بعد انتهاء اليوم الدراسي ..؟
قالت اشواق
ولم لا ..
قال الأب وقد اشتد غضبه وانفعاله عن ذي قبل :
انه بمثابة خادم لك .. تتزوجين من خادمك ..؟ تختارين رجلا لايناسبك لا في حسبك ..؟ ولا في نسبك ..؟ ولاهو من وسطك ..؟
قالت اشواق :
هذه كلها خز عبلات القرون الماضية .. وقد عفا عليها الزمن واصبحت لاتصلح لزماننا هذا .. نحن في نهاية القرن العشرين .. وفي دنيا المال والانفتاح . كم معك من المال .. ؟ هذا حسبك .. كم

تكسب ..؟ هذا نسبك .. أين تقطن وماهو وسطك ؟ بالمال تقطن في أرقي العمارات وفي أحسن الأوساط وتنتمي لها .. كم من رجال الاعمال يقطنون في الزمالك ..؟

قال الأخ :

كثيرون ..

قالت اشواق :

انهم كثيرون كما يقول أخي ثروت . معظمهم دون حسب .. ولانسب .. وهنا بالذات في شارع أبو الفدا مثالالهم .. الم تسمع ياثروت عن المقاول حسب الله الدمرداش الذي كان سباكا .. ؟ والمقاول جابر بعضشي الذي كان نقاشا ..؟ والمقاول ياسين البسطاويسي الذي كان عاملا للخرسانة ، ورجل الأعمال صالح الأعرج الذي كان كناسا واصبح صاحب محلات سوبر ماركت ،، وال ..

قال الأخ مقاطعا :

وهل الاسطي عزت سائق التاكسي سيصل الي مستوي كل هؤلاء الرجال ..؟

قالت اشواق :ولم لا .. إنه يكسب في اليوم الواحد اكثر من خمسة وعشرين جنيها .. ومع الأيام يمكنه أن يكون صاحب جراج كبير للسيارات .. أو مالكا لعدد من سيارات الأجرة ..

قالت الأم في غضب وانفعال شديد:ألم أحذرك من قبل الا تتطور

علاقتك به اكثر من زبونه وسائقها ؟.. أكيد انك قد جننت كما قال أبوك .. تفضلين سائق التاكسي محدود التعليم علي عادل الصفتي .. خريج كلية الحقوق والمحامي باحدي الادارات القانونية باحدي شركات الاستثمار الكبيرة .. وابن حسب ونسب ومن وسطك ..

قالت اشواق : سبق ان قلت ان كل هذه خزعبلات القرون الماضية .. وعفا عليها الزمن واصبحت عملة مرفوضة في زماننا هذا .. انكم مازلتم تعيشون بعقولكم في هذه القرون .. أما انا فلا أعيش فيها ..

قال الأب في غضب وانفعال شديد : ولكنه فقير معدم .. ودون حسب ونسب .. وليس من وسطك ..

قالت اشواق : مازلت يابابا تردد هذا الكلام ..؟ انكم جميعا دون استثناء لاتعترفون بالتغير الذي حدث في المجتمع .. اما انا فغيركم .. الناس لاتقاس عندي بالمال .. ولا بالحسب ولا بالنسب ..

قالت الأم في سخرية وتهكم:اذن بماذا تقاس الناس اذا كانت لاتقاس بالمال ولابالحسب ولابالنسب ..؟

قالت اشواق :بمجهودهم وهدفهم في الحياة .. طموحاتهم وكفاحهم ونضالهم .. من اجل ان يكون كل فرد منهم عضوا ذا فاعلية ونافعا للمجتمع ..

قال الأخ في سخرية واستعلاء !

مثل الاسطي عزت سائق التاكسي ..؟!!

قالت اشواق :

نعم .. مثل الاسطي عزت سائق التاكسي .. فهو عندي أحسن ألف مرة من عادل الصفتي .. ذي الحسب والنسب .. والذي ينتمي الي الطبقة الراقية

قال الاب في حدة وانفعال :

لو فرض وتغاضيت عن الفروق الكبيرة التي بينك وبينه ووافقت علي زواجك منه هذا سيؤثر علي مركزي كمهندس معماري وصاحب اكبر مكتب هندسي استشاري وكبير الاستشاريين فيه .. كما سيؤثر علي علاقتي بالمهندسين والاستشاريين العاملين بمكتبي والموظفين ايضا .. وسيؤثر ايضا علي علاقتي بالمتعاملين مع مكتبي .. كيف او اجههم جميعا عندما يعلمون بزواجك من النكرة الذي يدعي عزت .. انك بهذا الشكل تقللين من قدري امامهم وتضيعين هيبتي واحترامي .. وقال مستطردا بدهشة بالغة الي حد الذهول وسخرية وحدة وانفعال :

انت .. انت ابنة عبدالحميد الهواري كبير الاستشاريين المعماريين في مكتبه الهندسي تتزوجين من سائق تاكسي !!!؟ لا .. والف لا ... لن اوافق علي زواجك منه ابداحتي لو انطبقت السماء علي الأرض .. قالت اشواق وهي تكادتبكي :

لماذا كل هذه القسوة ؟ وما كل هذا الظلم ؟ هل ارتكب عزت ذنبا

عندما أحبني ؟ وانا الأخري احببته .. نعم احببته .. اني اقولها بصوت عال ولا أخش ملام احد .. انا أحببت عزت وهويبادلني الحب

لماذا تقفون حجر عثرة في طريق سعادتنا ؟

قال الأب في شيء من اللين والحنان بعد ان ذهب عنه غضبه وانفعاله :

نحن لا نقف حجر عثرة في طريق زواجك من عزت .. ولكننا ننصحك ياابنتي الحبيبة ان تعدلي عن فكرة الزواج منه .. لأنه سيكون زواجا غير متكافيء

ومآله الي الفشل ..

قالت اشواق :

لماذا تحكمون عليه بالفشل ..؟ بالحب والتفاهم سنعيش انا وعزت أسعد زوجين

قالت الأم في عطف وحنان زائد :

–يا ابنتي الحبيبة لاتغضبينا وأفيقي من وهم هذا الحب..انك تسيرين وراء قلبك وعواطفك ولا تحكمين عقلك..اسمعي كلا منا لا تقدمي علي هذه الخطوة وحكمي عقلك قبل ان يفوت الأ وان وتندمي..

قالت اشواق :

-اندم علي زواجي من عزت ..؟

قال الأخ مؤكدا كلام أمه :

-نعم .. ستندمين علي زواجك منه عندما تفيقين من وهم هذا الحب وتشعرين بالفارق العلمي .. والثقافي .. والاجتماعي .. الذي بينك وبينه ..

قالت اشواق :

-تأكد انني لن اندم ابدا علي زواجي من عزت .. ولن أفيق ابدا من وهم هذا الحب اذا كنتم مصرين علي ان تسموه وهما ..

قال الأب :

-إنك عنيدة وتركبين رأسك .. وتصرين علي هذا الزواج .. وأنا لن او افق عليه وسأمنعه بكل ماأوتيت من قوة ..

ساد الصمت بين الجميع بينما اشواق تبكي في حرقة ثم تخرج من صمتها صارخه فيهم كاللبؤة الغضبي ..

-لا .. لن اتركهم تتحكمون في وفي مصيري .. فانني سوف اتزوج من عزت سواء رضيتم أم ابيتم ..

قال الأب في ثورة عارمة :

-انا أمنعك ..

قالت اشواق :

انني لست قاصرا لكي تمنعني ..

قال الأب والشرر يتطاير من عينيه محذرا ومهددا :
-اذا خـرجت من هنا وتزوجت من عـزت لاتريني وجـهك بالمرة .. انت وحدك التي يجب ان تتحملي نتيجة اند فاعك .. وتهورك .. وطيشك ..

واحتد النقاش بينهم واندلعت نيرانه ووصل لهيبها الي كبد السماء .. وقامت اشواق من جلستها وهي غاضبة وكل هموم الدنيا منصبة علي رأسها وهرعت الي غرفة نومها لتغلقها علي نفسها وسط قلقها وذهولها وحيرتها من أبيها لتدخله في حياتها وفرض عليها رجلا لاتريده ! ارتمت علي فراشها دون ان تغير ملابسها ودون ان تخلع حذاءها . ظلت تتقلب علي سرير أصبح قاربا بلادفة في مواجهة العاصفة التي لابد ان تغرقها في قاع لججها . لم يخطر بيا لها في اية لحظة من اللحظات ان يقع ما وقع برغم انه لم يكن بعـيـد الاحتمال بأية حال من الأحوال .. ولكن كان يحدوها الأمل في ان يتفهم أبوها مشاعرها وعواطفها وأحاسيسها نحو عزت ويوافق علي زواجها منه .. ولكن بكل أسف لم يفهم ورفض زواجها منه بل وصل به الأمر ان هددها بقطع صلتها به نهائيا اذا تزوجته دون إرادته ..

كانت سعيدة برفضها عادل الذي ارسل أمه تلتمس موافقتها علي الزواج منه لدرجة انها قد أحست كأن شيئا بداخلها يرفضه.. وذلك

كما أوحي اليها بخاطره سعيدة انها ترفضه من أجل عزت !
عزت الذي يقول اهلها عن حبها له انه وهم كبير .. حتي ولو كان وهما كما يدعون فهو الوهم الجميل الوحيد في هذه الدنيا الذي لاحدود له ، حتي يفاجأ الانسان بها وهي تطبق عليه من كل جانب حتي تكاد تحطم ضلوعه وتمنع الهواء عن رئتيه

******

وكان عزت سعيدا بها لدرجة انه كان مثار حسد زملائه وغيرتهم فقد كانوا يتبارون هم ايضا في الاعجاب بها والاقتراب منها من سحرها بقدر الامكان !
كم حسدوه بعد ان فازبها وهي تركب معه سيارته الحبيبة .. وهو يجلس بجوارها ويتمتع بصحبتها !
كانت في حياته أعلي من اي مستوي من مستويات البشر العاديين التقليديين !
وذات مرة هبطت عيناه دون ارادته وهو يقوم بتوصيلها الي الجامعة متسللة الي أعلي فخذيها المحشورتين في فستان ضيق قصير .و وانفرجت ساقاها فجأة معلنتين ثورتهما من ضيق الفستان عند ذلك غمرته سعادة ليس لها اول ولا آخر
انه كان يغار عليها من الهواء الطائر .. كان يتفتت كلما رأي العيون المتلصصة في حياء أو المنطلقة في صفاقة سهاما الي قلبه وهو

يسير معها !
كم تمني ان يملك القدرة علي ان يقول لها إنها اروع واسمي من ان تلتهم العيون الفانية جسدها الساحر المبهر !
كانت أسعد لخطاته المتدفقة بالنشوة الصافية عندما يري بريق عينيها فى ضوء الشمس والسيارة تتهادي بهما بين حديقة الأورمان والحيوان في طريقها الي الجامعة ، أو عندما يلمح نور وجهها عندما تسطع عليه كشافات السيارات المقابلة في طريق عودتهما ، أو وميض خصلاتها الذهبية قبل الغروب وهي جالسة معه في حديقة احد الكاز ينوهات الموجودة علي النيل ! كانت الجانب المضيء المشرق في حياته .. أو هكذا كان يوهمها ..
وذات ليلة اخذت اشواق تتقلب في الفراش ! وهي لاتدري اذا كانت هي التي تتقلب علي الفراش ! أوالفراش هو الذي يتقلب بها ..؟! وهي تفكر في امرها هي وعزت .. وهذا ما جعلها قلقة وباتت ليلتها مسهدة العينين .. وظلت تفكر حتي انبلج نور الصباح .. وبعد ان اجهدها التفكير اهتدت الي مايجب ان تفعله .. حيث قررت ان تتزوج من عزت وليكن مايكون ...

******

تزوجت اشواق من عزت رغم اعتراض والدها ووالدتها واخيها وتهديد والدها لها بانه لن يتدخل اذا حدث لها مالاتحمد عقباه

بسبب هذا الزواج ، ثم تمادي في غضبه فأخبرها انه لن يستقبلها في بيته مرة اخري وعليها وحدها ان تتحمل نتيجة ذلك..

وقطعت أسرتها صلتها بها بعد زواجها من عزت ولم تجد اشواق مفرا من مواجهة مصيرها وقدرها المكتوب ، وداخلها الاطمئنان في بدء زواجها حيث ذاقت مع عزت طعم السعادة والهناء وراحة البال .. ونسيت معه أهلها الذين اعتبروها في عداد الأموات ..وعاشت مع عزت والحب يرفرف عليهما بجناحيه .. وكل يوم كان يمر عليهما يعدانه يوما جديدا من (شهر العسل)

وتفانت اشواق في حبه والسهر علي راحته .. كانت نعم الزوجة المخلصة الوفية .. كان يسكن اليها ويشكو اليها كل مايحس به من متاعب ، وتشاركه سعادته ، وتقاسمه احزانه ، كما كانت تقاسمه افراحه ..

وظلا علي هذه الحال من الغبطة والسرور عاما كاملا .. بعده أفاقت اشواق من حلمها الجميل حيث شعرت بعد مرور هذا العام .. عام الهناء .. عام السعادة .. عام الغبطة والسرور .. شعرت بتغيرغريب طرأ فجأة علي تصرفات زوجها عزت .. كان يسهر خارج البيت كل ليلة الي مابعد منتصف الليل بساعة أو ساعتين متعللا بأوهي الأسباب .. مثل ان طبيعة عمله تقتضي ذلك .. كما ان اهتمامه بمظهره الخارجي واستعماله لأحدث انواع العطور الباريسية يجعله

في صورة تبعث إلي الشك ، ومما أثار ظنونها انه اهملها وحرمها في معظم الايام من كل حقوقها الزوجية..حتي في الأيام القليلة التي كان يعطيها فيها هذه الحقوق ..كانت دون انسجام ودون ماتعودت عليه منه .. كأنه يقوم باداء واجب عليه ..

******

أصيبت اشواق بخيبة أمل كبيرة حيث ظهر لها الجانب القبيح من طبع زوجها وشخصيته .. حقا ان اصحاب الباطل مهما البسوه من ثياب لإخفاء حقيقته .. فإن الايام كفيلة بإبلاء هذه الثياب ثم اظهار حقيقته للناس ..

كان أمر عزت محيرا لفكرها .. فهي لاتدري أهوحقا يحبها .. ام انه يخدعها .. ويغدر بها .. حتي كشفت لها الأيام الحقيقة سافرة .. اكتشفت انه خدعها ومثل عليها الحب وتزوجها لكي ينالها فقط ..حيث استعصت عليه قبل الزواج..وبعد ان نالها واصبحت ملك يمينه زهدها.. فأهملها واخذ يعاملها معاملة سيئة للغاية ..منتهزا مقاطعة اهلها لها وعدم تدخلهم لحمايتها منه.. فأمعن في اذلالها.. عندئذادركت ابعاد المصيبة التي حلت بها وعندئذ تذكرت نصيحة والدها ووالدتها واخيها قبل زواجها منه .. فاحست بالندم لكن ماجدوي الندم بعد فوات الأوان ؟ الذي حدث حدث لم تجدبدا من الاستسلام لقدرها المحتوم ، خاصة عندما تذكرت تهديد والدها لها

بانه لن يتدخل ولن يستقبلها في بيته مرة أخري .. ورغما عنها شردت بفكرها في عادل ابن الست بهيجة .ومرت قصته معها في خيالها مرورا خاطفا سريعا..كان شريط الذكريات يمرامام عينيها كشريط سينمائي.. لقد رأته منذ عام ونصف .. كان جارها يقطن في إحدي العمارات المجاورة للعمارة التي تقطن فيها هي واسرتها .. رأت وجهه الأبيض المشرب بالحمرة ، وعينيه الواسعتين الخضراوتين ، وشعره الكثيف الذي يملأ صدره ويطل من ثنايا قميصه المفتوح .. ثم رأت نظرته المهذبة التي تسلل بها الي وجهها عندما التقي بها في حفل زفاف جارة لها .. ثم رأته عندما صادقت أخته وزارتها في بيتها .. واعجبت به .. أعجبت بالرجولة التي تفوح منه.. وبالاحترام الشديد الذي يفرضه لنفسه علي كل من بالبيت .. واعجبت بحديثه الهادىء الذي تسمعه كأنها تقرأ في كتاب جديد مفيد ، وصوته كأنه ينبعث من صدرها ..

وعرفت عنه كل شيء .. عرفت انه في السابعة والعشرين من عمره، وأنه خريج كلية الحقوق ، وأنه موظف في إحدي الإدارات القانونية بإحدي الشركات التجارية .. ثم عرفت انه يحبها ..رأت الحب في عينيه .. وفي لمسه يده .. وفي تعمده ان يبقي في البيت كلما ذهبت لزيارة اخته.. ولكنه لم يخبرها ابدا بحبه ..

وانتظرت طويلا حتي تسمع منه كلمة حب .. انه لايجيد كلمات

الغزل مثل عزت انتظرته ليحاول ان يحدد معها موعد لقاء.
به تمنت لو حاول ان يقبلها .. وقد مرت فرص كثيرة كان يمكنه ان يستغلها.. كانت اخته تتركهما وحدهما ، انه لم يحاول ابدا .. انه لايقبلها ولايحدد موعدا للقاء .وقد شجعته .. حاولت ان تمنحه الجرأة ليصل اليها.. كانت تعطيه من عينيها نظرات صريحة .. وكانت تبقي يدها في يده اكثر مما تعودت ان تبقيها في ايادي الناس .. وكانت تطرق معه أحاديث حساسة ... وتتعمد ان تبدو بكل دلالها .. ولكن ، لا .. انها لاتدري من حبه الا مايبدو في عينيه ، وفي لمسات يده وهو يصافحهما .. ورغم ذلك لم تيأس كانت لاتزال تنتظر ان يسعي للقائها .. ولاتزال تنتظر قبلته .. انه لايستطيع ان يعيش جادا مهذبا الي هذا الحد ..
وفوجئت بعد مرور ثلاثة شهور علي معرفتها به ، أنه أرسل أمه لتخطبها له ..
كانت مفاجأة لها ، ولكنها لم تكن مفاجأة فرحة ، كانت مفاجأة تشوبها خيبة أمل .. وربما أرضت المفاجأة غرورها ، ولكنها حطمت حلما من احلامها .. انها لم تكن تحلم بالزواج به .. كان الزواج بالنسبة لها حلما بعيدا لم يأت دوره بعد .. ولكنها كانت تحلم بالحب .. الذي يجيده عزت زوجها ..
كانت تحلم بان يدفعها الي الكذب علي امها لتخرج للقائه .. وكانت

تحلم بان تركب معه سيارة تسير بسرعة معقولة كسيارة عزت ..
التي تسير ايضا بهما هادئة وكأنهما في نزهة .. مع مزيد من
الكلمات المعسولة التي يجيدها عزت .. ويتكرر هذا مرتين كل يوم ..
مرة وهو يوصلها الي الجامعة .. ومرة وهو يعود بها الي البيت بعد
انتهاء اليوم الدراسي .. كانت تحلم ايضا بان تسير معه في حديقة
الأسماك ..أوحديقة الحيوان .. أوعلي كورنيش النيل .. وذراعها في
ذراعة، وقلبها خائف من ان يراها احد معه ويذوب خوفها في حديثة
، وفي حرارة التصاقها به .. ثم .. ثم قبلة سريعة خلف جذع شجرة
.. ثم تنتظره كل صباح في النافذة وهو ذاهب الي عمله ، وتنتظره
مرة ثانية وهو عائد الي بيته .. ثم يكتب لها خطابا خطاب حب ..
ويلجأ الي آلاف الحيل ليسلمه اليها ، دون ان تشعر اخته ، أو أحد
من العائلتين .. وتكتب له خطابا ردا علي خطابه.. وتلجأ هي
الأخري الي آلاف الحيل لتسلمه اليه .. ثم تحيط بهما الهمسات
والشائعات .. ويملأ حبه كل لحظات عمرها ، وينسيها تطلعها الي
العالم الذي تكتب عنه المجلات الاسبوعية..عالم الحفلات..والسيارات
.. واخر الموضات ..يغنيها عن هذا العالم بحبه.. وعن مافيه .. ثم
بعد ذلك يفكر معها في الزواج .. ولكنه لم يفعل شيئا من هذا .. لم
يمنحها عالما من الحب .. بل منحها الزواج .. فجأة .. وكأنه يطلبها
الي زواج المتعة وقالت لا.. لن تتزوج الآن وطلبت منهم تركها لحين

الانتهاء من دراستها الجامعية والحصول على البكالوريوس. حرام أن تسجن نفسها فى بيت المتعة وهي في هذا العمر الصغير .. حرام ان تتنازل عن حريتها وعن أحلامها قبل ان تتمتع بالحرية .. وتجرب الاحلام ..

وزاد في اصرارها ان شقيقها ثروت معجب بعادل .. كلاهما معجب بالآخر .. وشقيقها يقيد حريتها ويكيدلها .. وكأنه وجد في عادل نصيرا له فأعجب به .. واصبحت هي تغتاط من عادل كما تغتاظ من شقيقها ثروت ..

لم تصل « لا » الي عادل صريحة .. كانت أمها تأمل في ان تستطيع يوما ان تقنع ابنتها بالزواج منه .. وكان والدها مقتنعا بأن عادل هو اصلح زوج لابنته ، فظلت أمها تماطل أمه دون ان تقطع لها برأي .. ومنذ ان تقدم عادل لخطبة اشواق ، اصبحت العلاقة بينهما يشوبها حرج كبير .. وارتباك .. علاقة لاهي حب ، ولاهي اعجاب ، ولاهي صداقة .. وكانت اشواق تصمم يوما علي ان تقاطع شقيقة عادل ولاتزورها في بيتها ، حتي لاتراه .. وفي يوم آخر تجد دافعا قويا يدفعها الي زيارتها لتراه ربما كان هذا الدافع هو غرورها .. وربما كان شيئا آخر .. ولكنها كانت تذهب الي هناك ، وتجد عادل ، ويجلس معها .. ولكنه لايتحدث معها كعادته .. صامت كأبي الهول .. لايتحدث الا اذا دعاه أحد للحديث .. ويكون حديثه

معه علي قدر المطلوب لايزيد .. ان حديثة فيه كثير من الحياء وكثير من الارتباك .. وهي ايضا لم تكن تستطع ان تجلس معه كما تعودت .. كانت تحس بالضيق .. وكانت تنظر اليه من تحت جفنيها ثم تسأل نفسها :

لماذا لا تتزوجه ..؟ إن فيه كل مواصفات الزوج المناسب لأي فتاة عاقله .. وتكاد تقنع نفسها بالزواج منه .. ثم فجأة تثور علي نفسها .. تثور عليه .. لماذا تقدم اليها بالزواج ..؟ قبل ان يتقدم لها بالحب ..لماذا لم يحاول ان يملأ قلبها؟ ويملأ حياتها قبل ان يطلبها للزواج؟ -لماذا لم يساعدها علي ان تعرفه اكثر؟ لماذا لم يحاول ان يعيش في داخلها؟ بدلا من ان يعيش أمامها؟

انها ليست صفقة يتفق عليها مع الأب والأم .. لا ..انها لن تستجيب إلي هذه الحياة .. لن تضيع عمرها بلا مغامرة حب .. انها قررت إن تنطلق مع عزت .

******

عادت اشواق من شرودها لتحدث نفسها في ندم شديد : -ياليتني ماكنت انطلقت مع عزت .وصرفت نظرا عن زواجي من عادل .. كان عادل سيوفر لي حياة مستقرة هادئة .. وكان الحب يأتي بعد الزواج .. إنني ضحيت بالماس والذهب من أجل النحاس المطلي بماء الذهب البراق .. لقد خدعني عزت ببريقه اللامع .وبكلامه المعسول

عن الحب .. والغرام .. والهيام .. مما جعلتي اضحي بالكثير من أجله .. انني ضحيت بالغالي والثمين .. ضحيت بأهلي واسرتي التي قطعت صلتها بي بعد زواجي منه .. ضحيت بحسبي ونسبي ووسطي الراقي الذي كنت أعيش فيه حياة مرفهة .. ضحيت بمؤهلي الجامعي العالي الذي حصلت عليه وقبلت الزواج منه وهو محدود التعليم حيث انه لم يتعد في دراسة المرحلة الاعدادية .. ضحيت بشقتي الفاخرة بالزمالك لكي اعيش معه في شقة متواضعة جدا في أحد الاحياء الشعبية « حي باب الشعرية » .. ضحيت بمستواي المعيش العالي لأعيش معه في مستوي أقل من المتوسط .. وضحيت بعادل الرجل الذي كانت تفوح منه الرجوله كعطر نفاذ .. الرجل المؤدب المهذب .. الجاد .. الخجول .. الذي كان سيسعدني بلاشك لوتزوجته .. لأنه كان يحبني حقا وهذا يكفي .. سرت وراء قلبي وألغيت عقلي – سرت وراء حب زائف .. كنت أبحث عن الحب .. والأحلام قبل الزواج .. تبالي ولأفكاري التي أوقعتني في شر اعمالي .. كانت أمي وأبي وأخي علي حق في كل ماقالوه لي قبل زواجي من عزت .. انهم نصحوني كثيرا بان مثل هذا الزواج غير المتكافيء سيكون فاشلا .. وهاأنا ذا قد فشلت في زواجي من عزت كما توقعوا تماما ..

ولكن اين المفر .. انني مازلت أحب عزت رغم كل مافعله بي .. كما

انني اصبحت مقطوعة من الأهل والأقارب .. ليس لي مكان يأويني لوتركت بيت عزت يجب ان أتحمل نتيجة تهوري واندفاعي وطيشي كما قال لي ابي ..

كانت صدمة كبيرة بالنسبة لها .. فبد لا من ان يرفع عزت من قدرها امام اهلها واسرتها حتي لاتشمت فيها .. هبط بها الي سابع ارض .. وبرغم قسوته عليها .. وذله لها تحملت المعيشة معه من أجل حبها له وحتي لاتشمت اسرتها فيها .. وهذا هو قدرها « تقدرون وتضحك الاقدار وتقدر غير ماتقدرون » وتأتي الرياح بما لا تشتهي السفن .. وقد رضيت اشواق بقضاء الله وقدره ..

******

عاشت اشواق في فراغ وسأم وضجر قاتل في بيت عزت وكأن السماء تنتقم منها بسبب معاملتها لعادل ورفضه كزوج لها وللحياة التي كان سيعيشها فيها .. وكما يقولون في الامثال ان « البطران يلاقي القطران »

ومن اختناقها من الفراغ القاتل الذي تعيش فيه ، والاهمال الذي تعاني منه فكرت ان تعمل ، لتشغل وقت فراغها .. وبدخلها من الوظيفة ستحقق مستوي عاليا من المعيشة للأسرة .. وعرضت الفكرة علي زوجها الذي رحب بها في فرحة شديدة ووافق عليها في الحال .. وعيناه تلمعان بفكرة الاستيلاء علي مرتبها .. وعملت

اشواق في شركة استثمارية كبيرة بدخل محترم جعلها تحافظ علي مستواها المعيشي الذي كانت به عند اهلها بالزمالك ..
وكان عزت يستولي علي جزء من مرتبها .. زائد جزء من مرتبه وهذا جعل دوام الحال من المحال .. فقد تقاعس وتراخي عزت في عمله واهمله .. مما أدي الي حدوث مشادة بينه وبين صاحب السيارة الأجرة (التاكسي) التي يقودها .. وانتهت المشادة بسحب السيارة منه واسناد قيادتها الي سائق آخر ..
واعتمد عزت علي مرتب زوجته ولم يبحث له عن عمل .. واصبحت اشواق زوجة لرجل عاطل بلا عمل .. واصبح عزت يعتمد عليها في كل شيء..كانت تنفق عليه بداية من المأكل حتي سجائره وخمرته..
كان ينام طول النهار في الفراش .. يحتسي البيرة والخمر عندما يفيق من نومه كان عزت يستغلها ويطلب منها النقود بصفة مستمرة .. وكانت هي صابرة عليه وتعطيه كل مايطلب حتي لايشمت أهلها وأسرتها فيها .. وكان هو يستغل هذا ويطلب منها المزيد للانفاق علي صد يقاته ويعود لها في آخر الليل مخمورا وفاقد الرجولة لممارسته لعبة الحب والجنس مع الأخريات خارج البيت .. وذات ليلة كانت تنتظره . وعندما عاد الي بيته مخمورا كعادته بعد منتصف الليل فوجيء بها مازالت متيقظة « حملق فيها بدهشة وقال بالفاظ مضغتها الخمر :

-ياللعجب .. لماذا انت ساهرة الي هذه الساعة ..؟
تطلعت اليه في خوف ، وهمست متردده :
-لا .. ليس هناك شيء بالمرة .. لقد جفاني النوم .. وطوال هذه الساعات لم تكن عندي الرغبة له ..
تفرس فيها طويلا وهو يتمايل ثملا ، ثم قال في شك:
لا .. اني لا اصدقك .. إنني اري في وجهك كلاما كثيرا .. كما اري « القرف » يملأ وجهك ..
مصمصت بشفتيها وهي تشيح عنه بوجهها في اشمئزاز . كيف تتفاهم مع هذا السكران ؟
انها تعلم جيدا ان جوفه عندما يمتليء بالخمر ، فانه يطغي علي تفكيره المتزن ، ويفقده السيطرة علي أعصابه . وعند ئذ يرتكب حماقة دون تبصر با لعواقب . وقد يستعمل يديه أحيانا في تسوية المواقف الحرجة ، عندما لايسعفه عقله المخمور .
حاولت « اشواق » ان ترجيء مناقشة مشكلتها الي الصباح عندما يفيق زوجها المتهور ، لكنه أضر علي ان يعرف سبب يقظتها . وقد صور له عقله المخمور انها تعانده ، أو تخفي عنه سرا اقترب منها .. امسك بكتفها ..راح يهزها بعنف ، ويصيح مهددا : يجب أن أعرف حالا .. وبسرعة لمذا تسهرين إلي هذه الساعة ؟
خلصت كتفها برفق من قبضته المرتعشة قالت في توسل :

-في الصباح سوف أقول لك ..
-لا إنني أريد الآن أن أعرف كل شيء .
قالها في تحد واصرار .
عادت تتحايل عليه عساها تقنعه .
-أرجوك أن ترجئ الكلام في هذا الأمر إلى صباح الغد ، إنك فاقد لتوازنك تماما من فعل الخمر وتأثيرها وأية مناقشة الآن في أي موضوع لن تجدي تعال معي تعال.
قالت له هنا وهي تجذبه نحو غرفة نومه وقامت تسنده حتي لا يقع وفي الغرفةأجلسته بهدوء علي حافة السرير وأخذت تخلع عنه ملابسه وتلبسه ملابس النوم وبعد أن انتهت اشواق من ذلك راح عزت في نوم عميق ..
عندما تسللت شعاعات الفجر إلي المكان وكانت اشواق ما زالت مؤرقة والافكار المتصارعة تدق رأسها بلا هوادة، إنها تتعجل نسمات الصباح حتي يفيق زوجها المخمور لتضع حدا لاستهتاره ومجونه واستغلال راتبها ناقص من الوظيفة في الانفاق علي البيت ومصروفاته الشخصية .
اشتكت اشواق لصديقتها نجوي نذالته وسفالته وأنه يعيش عالة عليها ولكن لكل شيء نهاية ولكل إنسان طاقة احتمال وقد نفدت طاقة احتمال اشواق له ، فحدثت بينها وبينه مشادة قالت له

خلالها:

-لا يمكن أن تعيش عاطلا وعالة علي امرأة هكذا وبدلا من أن تعمل وتساعدني في مصروفات البيت تأخذ مني كل ما تصل إليه يدك من نقود تنفقها علي سهراتك وملذاتك.. إن مرتبي من الوظيفة لن يكفينا بهذا الشكل ، أتريدنى أن أمد يدي لأمي أو لأبي لكي يعطياني مساعدة ؟!

وبأي وجه أطلب منهما وأنا قد تزوجتك رغم أنفهما .. ويا ليتني سمعت كلامهما وتخليت عنك .واحتدت المناقشة ووصل لهيبها إلي كبد السماء وأسفرت في النهاية عن قرار عزت بأنه سوف يعمل سائقا بهيئة النقل العام وتقدم بطلب للهيئة وقبل طلبه وعمل بها سائقا .

******

عاشت أشواق طيلة الثلاث سنوات التي مرت علي زواجها من عزت في شجار دائم وبسبب تأخره خارج البيت واهماله لها ويتكرر هذا كل يوم ويترتب عن ذلك اهماله لها طول أيام الاسبوع وحرمانها من حقوقها الشرعية . ولا يكون معها إلا يوم الراحة الاسبوعية.. وذات يوم علمت بأن زوجها يخونها مع صديقة من راكبات الاتوبيس الذي يقوده وأنها تركب معه الاتوبيس في ساعة معينةللاتفاق معه علي موعد لقاء لممارسة لعبة الحب والجنس .

وذهبت اشواق إلي موقف الاتوبيس في الموعد المعين للقائهما لضبطهما فوجدت الموقف كعادته كأي يوم مليئا بالناس ويضج بالحركة الدائبة .

وبائع متجول هنا وبائع متجول هناك ..وأناس يسرعون الخطى نحو أتوبيس بدأ يتحرك من مكانه بالموقف.. وأناس يجرون خلف أتوبيس قد تحرك من مكانه وخرج إلي الطريق العام خارج الموقف للحاق به ..بينما سيارة الاتوبيس التى يقودها زوجها عزت واقفة فى المكان المخصص لها فى الموقف..مكتظة بالركاب..وعندما نظرت أشواق الي مكان قائد السيارة وجدت عزت يجلس على كرسى القيادة وبجواره المرأة اللعوب صديقة زوجها..من داخل الحاجز الذى يفصل قائد السيارة عن الركاب في التصاق ملفت للنظر ، وبلاشعور ركبت أشواق الأتوبيس والشرر يتطاير من عينيها.. وجذبت المرأة من جواره وأخذت مكانها وقالت لها فى غضب وانفعال:

- هذا ليس مكانك.. بل هو مكانى أنا.. ولو عندك بقية من دم تنزلين من هذا الأتوبيس وتغادرينه فورا.

قالت المرأة اللعوب فى دهشة تصل إلى حد الذهول لعزت متسائلة:

- من تكون هذه المرأة يا عزت..؟

قالت أشواق لها بينما عزت يحاول اسكاتها حتى لا تحدث ضجة

وفضيحة:

- وتنادينه باسمه المجرد وترفعين التكليف بينك وبينه..؟ إلى هذا الحد علاقتكما علاقة وثيقة..؟ أتريدين أن تعرفى من أكون؟

قالت أشواق مستطردة وكأنها فجرت قنبلة نسفت تلك المرأة:

- أنا زوجته يا ست هانم..

أضافت أشواق ثائرة:

- وأم لطفل سيأتى بعد شهرين على الأكثر.

قالت لها المرأة اللعوب بعصبية وانفعال شديدين وهى تنزل من الأتوبيس

- « أهو عندك.. اشبعى بيه.. بليه واشربى ميته.. مايلزمنيش يانقة وطلب عزت من أشواق تأجيل الكلام فى هذا الأمر إلى الليل بعد انتهاء عمله ،عندما يحضر إلى البيت.. منعا من الفضيحة.. وبعد الحاح منه وافقت على طلبه.. و حمد الله عزت على أن زملاءه والمسئولين عن الموقف لم يشعروا بهذا الموضوع.. وعندما عاد إلى البيت فى الليل وهمت أشواق بفتح الموضوع هب فيها كما يهب إعصارمدمر حيث قال لها بصوت عال دون أن يراعى أن الجيران تستمع إليه فى وقاحة وبجاحة سافرة

- اسمعى إلى كلامى جيدا يا أشواق،.. ولكى ترتاحى أنا أقول لك.. إننى أعرف هذه المرأة وعلى صلة بها.. وأعرف أيضا غيرها..

وغيرها .. وغيرها وعلى صلة بهن جميعا .. وهذه هى حياتى ولا توجد أى قوة على الأرض تغيرلى هذه الحياة.. وأنت إذا كانت تعجبك حياتى كما هى دون تغيير استمرى معى..أما إذا كانت لا تعجبك فالباب بيفوت الجمل.

قالت له أشواق وهى فى حالة تشبه انهيار لجرح كرامتها بجرح غائر.. ولكي تلملم معه الموضوع حتى لا تسمعه الجيران ويكون جرحها جرحين.

فى هدوء وبصوت منخفض فى استعطاف ورجاء قالت له:

– أين ذهب حبك لى يا عزت..؟ لقد كنت تحبنى قبل الزواج حبا جارفا لا تهدأ حرارته أبدا ، أين ذهب كل هذاالحب..؟ لقد تبخر كالماء وطار فى الهواء إلى السماء..؟ أو إنك كنت تخدعنى بهذا الحب الزائف حتى جعلتنى أحبك حبا لم يعرفه البشر..؟

قال:

– نعم..كنت أخدعك ..أخدعك لأنك استعصيت علىّ قبل الزواج.. لو نلتك قبل الزواج ماكنت تزوجتك..

قالت وهى تحبس دموعها فى مقلتيها:

– هكذا تقولها صريحة بلا حياء ولا خجل..؟

قال بعد أن زاد من وقاحته:

– نعم.. أقولها لك صريحة بلا حياء ولا خجل.. وأقول لك أيضاكما

قلت لك من قبل.. إذا كانت لا تعجبك عيشتى فالباب يفوت الجمل..
قالت بعد أن سالت دمعتان من عينيها ووقفتا كحبتين من اللؤلؤ على خديها:
- أتطردنى يا عزت بعد كل ما فعلته من أجلك..؟
قال بعد أن كشر عن أنيابه بنفس اللهجة القاسية:
- نعم.. واضربك أيضا إذا ما لزم الأمر..
قالت فى تنمر:
- هى وصلت إلى الضرب..؟
قال فى شراسة:
نعم.. تريدين أن ترى..؟
ولم تشعر إلا بصفعة قوية فوق وجهها، أصابتها بالإغماء، وعندما أفاقت وتبينت ماحدث انخرطت فى بكاء مرير.
وفجأة سمعته يقول لها بلهجة تشى بالشماتة والتهكم والسخرية:
- ما رأيك..؟
بادرت بمسح دموعها وتطلعت إليه قائلة بلهجة عاتبة:
- أتضربنى يا عزت بعد كل ما فعلته من أجلك..؟ كترالله خيرك.. لك حق أن تفعل بى ما تفعل.. بعد أن قطعت كل أسرتى صلتها بى.. بسبب تمسكى بك وأصبحت محتاجة إليك..
تحسست خدها الذى تلقى الصفعة القاسية.. عادت الدموع تنسال

من عينيها تستطرد أشواق فى استسلام للأمر الواقع وهى تبكى:
- إننى راضية بهذه العيشة معك.. وادعو لك الله أن يهديك بهديه ويعميك عن الحرام.
وتسيل الدموع من مآقى أشواق وتنحدر على خديها.. ثم تجرى نحو فراشها، وترتمى عليه معتمدة برأسها فوق ذراعيها، واعتراها وجوم، ذهول، وضيق يحوطها من كل جانب،وكان نحيبها يمزق القلوب، ويصم الآذان. وضاقت الغرفة بها.. بل ضاقت الدنيا فى عينيها حتى أصبحت كخرم ابرة لا ترى منفذا لها تسير فيه..
وظل الدم يغلى فى عروقها، ودق كأنه دق مطارق تدق فوق رأسها، توقف ذهنها، ألقت رأسها بين يديها وشردت بفكرها فى ماضى حياتها كلها. ومرت أمام عينيها الأحداث كشريط سينمائى يعرض حياتها من قبل زواجها بعزت.. وبعد أن تزوجت منه.. من أول لحظةعاشت معه فيها.. حتى اللحظة التى كانت فيها معه وصفعها فى قسوة ووحشية ووقاحة.
فكرت أشواق فى الطريق المظلم الذى ينتظرها، لفها الذهول لحظات.. ثم بدأت دموعها الساخنة تنساب من عينيها وتنحدر على خديها وتتساقط بغزارة.. تذرعت بالصبر، رضيت بالقضاء والقدر بعد أن انقطعت صلتها بأهلها..

******

استمر عزت بسلوكه السيء هذا مع أشواق وخيانته لها حتى بعد أن رزقهما الله بمولوده اسمياها صفاء.. رتمادى فى معاملته السيئة والوحشية لها.. عبثا حاولت مرات ومرات أن تقوم من خلقه وطباعه الفظة لكن هيهات، وفى آخر مرة انفجرت فيه وتشاجرت معه بعد ولادة ابنتهما صفاء بأسبوع واحد قائلة له:ألم يأن الأوان فى أن تحكم عقلك وتعيش معى بما يرضى الله.. ؟ إنك أصبحت أبا ويجب عليك أن تفيق من غفوتك وتعود إلى صوابك.. وتترك طيش الشباب الذى ينزلق بك إلى الهاوية.. مع الساقطات اللائى تعاشرهن فى الحرام.. نريد أن نحيا حياة نظيفة، ثب إلى رشدك ثم تب إلى الله توبة نصوحا.. وضع يدك فى يدى لنكون أسرة سعيدة.. قال عزت ساخرا :

-وكيف تتكون هذه الأسرة السعيدة..؟

قالت: تتكون بك وبى وبابنتنا صفاء

قال مراوغا وساخرا: وهل هى غير قائمة..؟

قالت :نعم

قال وهو مازال يراوغها:

– لماذا ..؟ وماذا ينقصها ..؟

قالت:أنت الذى تنقصها.. إن الأسرة لا تكون سعيدة بدون الرجل فى البيت - إن غياب الرجل عن بيته يجعله خرابا وقابلا للانهيار فى

أى لحظة..
واحتدت المناقشة ووصل لهيبها إلى كبد السماء.. وفى النهاية أسفرت عن وعد وعد به عزت أشواق أنه سوف يستقيم.. ولكن هيهات هيهات.. كلام الليل كالزبد يطلع عليه النهار فيسيح.. وهل ذيل الكلب ينعدل..؟ إذا انعدل ذيل الكلب سينعدل عزت.. وهل يستقيم الظل والعود أعوج..؟ إذا استقام الظل فسوف يستقيم عزت.
حاولت مرات.. ومرات أن تقوم من خلقه وطباعه الفظة وسلوكه المشين.
ذاقت الأمرين من معاملته السيئة وإهماله لها وتفضيل العاهرات عليها.. رغم حبها وإخلاصها الشديد له.. وتفانيها فى خدمته والسهر على راحته.
استسلمت أشواق لقدرها المحتوم.. ورضيت بنصيبها فى الحياة.. وتجمعت عواطفها نحو ابنتها (صفاء) فأولتها كل عنايتها وكرست لها أوقاتها واعتبرتها هدف حياتها، ولكنها كانت بدورها فى ربيع الحياة.. وكانت تحتفظ فى كيانها بكل ذخائر المرأة الفاتنة من جمال الطلعة إلى اعتدال القوام إلى اكتمال الصحة.
ولم يكن زوجها المشغول عنها بعمله وعلاقاته النسائية المتعددة.. وطعامه وشرابه.. ليدرك أن هذه الذخائر بحاجة إلى التقدير وإلى

الإطراء.. بحاجة إلى الرعاية والعناية، وإذا بها تحس كما لو كانت تعيش فى صحراء جرداء مقفرة.

وتستيقظ أشواق من نومها بعد ليلة كانت فيها مسهدة العينين مع ظهور أول ضوء للنهار.. ثم تجلس فوق أحد المقاعد بالحجرة وتشرد بفكرها لتستعيد حياتها مع عزت.. منذ أن كان يوصلها إلى الجامعة والعودة بها بعد اليوم الدراسى.. وعندما صارحها بحبه لأول مرة بعد نجاحها فى بكالوريوس التجارة.

وبعد أن تفيق أشواق من شرودها تتنهد تنهيدة تنم عن المرارة والأسى.. ثم تتجه نحو باب الشرفة.. تجذب الستار وتفتح الباب الزجاجى والضلف الخشبية وتدخل إلى الشرفة.. وتتعالى تدريجيا أصوات الصياح المتعددة بالشارع الذى تقطن فيه بالحى الشعبى.. حى باب الشعرية.. كصوت بائع اللبن.. وبائع الفول المدمس.. وصوت «عصفور» صبى مقهى المعلمة نوارة الذى ينادى على طلبات الزبائن.. وصوت باعة الفجل والجرجير.. والبصل الأخضر والكرات.. والملوخية الخضراء.. وغيرها.. وغيرها.. إلخ.. إلخ

تلتقط أذناها كل هذه الأصوات المتداخلة وتعزلها فرادى.. تسمع كل منها على حدة فى تلذذ وانبهار.. ويستمر هذاالتلذذ.. وهذا الانبهار .. فترة وجيزة.. بعدها يعبس وجهها ويشرد فكرها وهى تنظر إلى المجهول.

إنها عانت مع زوجها عزت معاناة لم تعانيها كل نساء العالم .. تماديه فى معاملته السيئة وإهماله لها.. وإحساسها الشديد بالظلم.. وحياة الذل التى تعيشها معه.. فكرت فى لحظة يأس شديدة فى أن تدس السم له وتتخلص منه ومن معاملته الوحشية وإهماله لها، لكنها تذكرت ربها فاستغفرت واستعاذت به من الشيطان الرجيم.

واستحالت العشرة بينهما وأصبحت أشواق لا تطيق معاشرته لذلك قررت أن تتحررو تكسر قيدها الحديدى لتنعم بقية حياتها.. وتستجمع أشلاء سعادتها المفقودة المبعثرة.. بعد أن تلاشت فى بيت زوجية فاشل.. فشلا ذريعا لم ترفيه سوى الشجار.. والخيانة.. والسب.. واللعن العلنى.. والضرب.. ووقفت أشواق أمام عزت بقرارها الصارم وتمسكت بعنادها المميت حتى تنصر قلبها المهلهل وعقلها المظلوم.. وحقها المهضوم. المسلوب فى حياة فاشلة يائسة.. تمسكت أشواق بقرار الطلاق وأقسمت أن تنصر كرامتها الذبيحة إلى آخر يوم فى حياتها..

ولتنفيذ هذا القرار حاولت عدة محاولات مع زوجها وباءت كل محاولاتها بالفشل .. حيث رفض عزت طلاقها .. ولكنها فى عناد شديد أصرت على الطلاق.. وهو فى عناد أكثر من عنادها رفض أن يطلق..

وعاشت بعد ذلك أشواق مع عزت عيشة غريبين تحت سقف واحد.. وفكرة الطلاق لا تترك بالها أبدا..

وتغير حالها مع مرور الأيام.. أصبحت تتصرف معه تصرفات تؤكد أنها غير طبيعية.. وكأن مسها مس من الجنون.. فقدت على أثره السيطرة على نفسها..

واحتمل عزت زوجها الكثير من تصرفاتها الجنونية.. إلا هذاالتصرف لم يقدر على احتماله.. حيث دخل عليها غرفة نومهما بعد شجار دار بينه وبينها.. رآها فى بلاهة وخبل تسكب الغاز على نفسها.. وحول ابنتهما صفاء الرضيع وهى نائمة على فراشها من وابور الغاز.. واشعلت عود الثقاب وشرعت فى إشعال النار فى نفسها.. ثم اشعال الفراش الراقدة عليه ابنتهما صفاء..

وبسرعة تفوق الخيال أخذ عزت عود الثقاب المشتعل وأطفأه.. كما أخذ من أشواق علبة الثقاب بأكملها وحمل ابنتهما من على فراشها وضمها إلى صدره كفأر مذعور من قط جاء ليفترس أولاده الصغار.. بينما كانت أشواق منزوية فى أحد أركان الغرفة والبلاهة والخبل واضحان على وجهها.. وأخذ عزت يعنفها بثورة وانفعال شديدين:

– ماذا تفعلين يا مجنونة.. ؟

قالت أشواق وهى تنظر هنا وهناك بنظرات زائغة مجنونة:

- أنا لست مجنونة.. إنك أنت وأهلك المجانين..
قال عزت بسخرية وتهكم:
- شيء طبيعي.. أن تقولين إنك لست مجنونة.. لا يوجد مجنون فى هذه الدنيا يعترف للناس بجنونه.. (ثم أضاف وهو فى قمة ثورته وانفعاله):
- تريدين أن تحرقى نفسك..؟ وتحرقى البنت..؟ وتحرقى البيت..؟
قالت أشواق ببلاهة وجنون:
- أنت الذى تريد أن تحرقنى.. وتحرق البنت.. وتحرق البيت.. سوف أبلغ عنك البوليس ليقبض عليك..
قال عزت بضيق وزهق وانفعال:
- لا.. إن هذه أمور ستؤدى بى حتما إلى الجنون.. البيت قد أصبح مرستانا.. أنا لم أعدا طيقك.. لقد زهقت منك ومن جنونك.. والكيل قد امتلأ على آخره وفاض بى.. أنا قد تحملتك كثيرا وأصبح جنونك يفوق احتمالى.. وأصبحت غير قادر على التحمل أكثر من ذلك..
ولذلك أنا قررت الانفصال عنك.. سوف أطلقك يا أشواق والآن.. حالا.. أنت طالق يا أشواق.. طالق.. طالق...
سعدت أشواق فى نفسها عندما ألقى عليها عزت يمين الطلاق.. سعدت بسعادة ما بعدها سعادة.. وبراحة ما بعدها راحة.. وهدأت

نفسها.. حيث جاءت لها الدنيا بما تشتهى..
وفرحت أشد الفرح لخروجها من سجنه فى بيت الزوجية المشئوم وبذلك كسرت كل القيود وتحطمت كل الأبواب الموصدة التى طالما كانت أسيرة بداخلها أربع سنوات ذاقت فيها الأمرين..
وخرجت من بيته وهى تحمل ابنتها فى عامها الأول.. وعند خروجها ابتسمت ابتسامتها المبهرة وسط دموع لم تدر أن كانت دموع فرحها أم دموع حريتها مع أحزانها.
ومرت بها الأيام وهى فى راحة نفسية وبدنية.. حيث ارتاحت من عزت ومن سوء خلقه وسيره البطال وأصبحت حرة..
انتهى عزت من حياتها إلى الأبد.. ولكنها تفكر فى تصفية حسابها معه..
إن رياح الغضب والانتقام قد ملأت شراعها وتندفع سفينتها نحوه لتنتقم منه بلا هوادة.. وبلا شفقة ولا رحمة..

******

عزت بوجه مشرق مبتسم تعلوه الفرحة والسعادة جالس بين مجموعة من السائقين زملاؤه على حجر بجوار بوفيه عم رجب الموجود بجراج الأتوبيس الذى يعمل عليه.. وينادى الأسطى عزت على عم رجب وهو مازال مشرق الوجه مبتسما..
– عم رجب.. ياعم رجب..

قال رجب من بعيد:
- ماذا تريد من طلبات يا أسطى عزت..؟
قال عزت:
- أريد واحد شاى (فى الخمسينة) واحضره حالا بسرعة.. لترى ماذا يشرب هؤلاء الرجال على حسابى..
قال رجب من بعيد أيضا:
- حاضر حالا (جاى)
قال عكاشة أحد السائقين الجالسين مع عزت محدثا عزت فى فهلوة وخفة دم:
- (تشكر يازوق.. يدوم يا أبوالكرم) إنما قوللى يا أخى ماذا يجعلك مبتهجا فرحا هكذا..؟ والهم والغم بعيدان عن قلبك ورأسك.. إننى أراك اليوم على غير عادتك.. والله لابد أن يكون هناك حادث جلل حدث لك غيرك هكذا.. بين يومك وليلتك.
قال عزت فى سعادة تامة:
- نعم.. قد حدث لى اليوم حادث جعلنى فى قمة سعادتى..
قال زميله كامل:
- وماهذا الحادث الجلل..
قال عزت:
- إنه

وأخذ عزت يحدثهم عن هذا الحادث الجلل.

******

بعد الطلاق كانت أشواق تعيش فى الماضى.. كان شريط الذكريات يمر أمام عينيها كشريط سينمائى.. إنها لا ترحب بالماضى ولا تحفل به.. إنها تريد أن تنساه بحلوه ومره.. ولا تعود إليه.. ولكنه كان يعود إليها رغما عنها ودون ارادتها.. إنهاتعتبر الماضى مجموعة من الكوابيس والأحلام المزعجة.. ويجب أن تفيق منها.. يجب أن يمضى الماضى إلى غير رجعة.. يجب أن تنساه وتحمد الله على الخلاص من ذلك السجن الرهيب.. الذى كانت تعيش فيه مع عزت..

وذات يوم بعد أسبوع من طلاقها دخلت عليها صديقتها نجوى فوجدتها شاردة الفكر وهى واقفة بجوارها ولم تشعر بها أشواق لفترة من الوقت..

كانت تراها نجوى جاحظة العينين.. شاردة الفكر إلى حدالذهول.. لا تدرى بما يدورحولها.. وأخرجتها نجوى من شرودها وذهولها وحدثتها مازحة قائلة:

– ماذا يشغل بال صديقتى العزيزة أشواق..؟

قالت أشواق بعد أن تنبهت إلى وجود نجوى معها بالغرفة:

– من.. ؟ نجوى..؟

قالت نجوى مازحة:
- نعم نجوى.. نجوى التى مكثت بجوارك أكثر من ربع ساعة ولم تشعرى بها.
قالت أشواق معتذرة:
- أنا آسفة يا نجوى..
قالت نجوى:
- لا عليك يا أشواق.. هونى على نفسك.. إننا لا يوجد بيننا ما يجب الاعتذار عنه فإننا أكثر من أخوات.. ولكن الذى أريد أن أعرفه.. إذا لم يكن هذا تدخلا منى فى حياتك الشخصية.. أنا كما قلت لك إننا أكثر من أخوات.. فهيا قوليلى فيما كنت تفكرين وتشردين هذاالشرود الطويل..؟
قالت أشواق بعد تنهيدة تريح بها صدرها وهى مهمومة والوجوم يعلو وجهها:
- كنت أفكر فى عزت
قالت نجوى:
- ألهذا الحد تحبينه..؟
قالت أشواق وهى تستعيد ذكرياتها:
- نعم يا نجوى.. أنا لا أنكر أننى مازلت أحبه.. أنا أحببته كأن لم أحب أحدا من قبل وأذوب عشقا فى هواه.. لكنى فضلت الفرار منه

حتى لا أراه.. تركت له البيت الملعون الذى لعنته يوما ما.. ومازلت ألعنه لما رأيت بداخله من آلام وأحزان وحسرة.. وأقسم لك أننى حاولت أن أحيا من أجل ابنتى وحيدتى.

قالت نجوى مواسية أشواق:

– هونى على نفسك.. فالنسيان أحسن طبيب للإنسان.. وأطلبى من الله الشفاء..

قالت أشواق فى دهشة بالغة:

– أنا لست مجنونة يا نجوى.. إننى أعقل من كل العاقلات!

قالت نجوى بتردد وشك:

– كيف .. وأنا.. وأنا..

قالت أشواق مقاطعة نجوى فى عتاب شديد:

– حتى أنت يا نجوى تشكين فى أمرى وتصدقين أننى مجنونة..!

قالت نجوى :

– إذن خبرينى بالله عليك ما الحقيقة..؟

قالت أشواق:

–الحقيقة اننى كنت أتصنع الجنون حتى أجعل زوجى عزت ينفر منى ويطلقنى بعد أن استنفدت معه كل الحيل لطلاقى..

قالت نجوى:

– إننى أراك قد تسرعت فى طلب الطلاق والخلاص من الأسطى

عزت.
قالت أشواق بوجه مشرق مبتسم:
- أرجوك يا نجوى لا تذكريني به.. فقد كان كابوسا وانزاح عن كاهلي..
قالت نجوى وهي مهمومة:
- الرجال ياعزيزتي أطفال كبار.. يحتاجون إلى من يدللهم ويكون أكثر منهم طول بال.. ألا ترين كيف يعاملني زوجي ماجد؟؟ انه يعاملني بجفاء شديد .. وأنني أحس بأني أشقى مخلوقة على وجه الأرض.. ومع ذلك صابرة من أجل أن نربي أولادنا معا فمن أجل الأبناء يجب أن نضحي.
قالت أشواق في مرارة وألم:
-اعرف.ولكن رباط الكراهية والانتقام أقوى في بعض الأحيان من علاقةالحب والتسامح.. والدليل على ذلك أنني بعد أن طلقت منه، لازالت عمليةالجذب للانتقام كأقوى ما يكون.. وإن انتقامي منه مازال باقيا.. إنني أحمل له الكره والحقد الموجودين في نفوس كل البشر..

******

أشواق طليقة عزت جالسة على أريكة خشبية متواضعة.. في غرفة متواضعة لوكيل محام يدعى هيكل افندي.. مكتبه في باب الشعرية..

وبجوار أشواق تجلس بعض النسوة منهن من ترتدى الملابس البلدية.. وتلتف بالملاءة اللف.. ومنهن من ترتدى ملابس متوسطة الحال.. ومنهن من ترتدى ملابس رثة جدا وممزقة..

وكانت أشواق أحسنهن حالا.. حيث كانت ترتدى ثوبا نظيفا مكويا.. وترتدى عليه معطفا مكويا أيضا.. وكأنها أتت به توا هو والثوب من عند الكواء.. أى قبل خروجها من البيت مباشرة.

أمامهن هيكل افندى وهو فى حوالى الخمسين من عمره.. هيكل عظمى متحرك جالس خلف منضدة متواضعة جدا..

وهو يرتدى بدلة مزركشة.. لا تتناسب مع وظيفته ولا مع سنه.. يبدو فيها كمهرجى السيرك.. ويحدث هيكل أشواق قائلا:

– أنت ليس لديك فكرة تامة عن أستاذنا يا ست أشواق

أستاذنا بسم الله ما شاء الله.. داهية من دواهى الزمن فى المرافعات.. وخصوصا فى قضايا النفقة والطلاق.. أنا لى أكثر من ثلاثين عاما أعمل وكيلا له،.. وأعرف محامين كثيرين لم أجد بينهم واحدا فى مهارته..

قالت أشواق:

– تعتقد أن الأستاذ قادر على أن يأخذ لى حكما بالنفقة يا هيكل افندى..؟

قال هيكل مزهوا متفاخرا:

– إلا قادرا .. اطمئنى.. سوف يأخد لك حكما بالنفقة بجميع أنواعها.. نفقة للبنت.. ونفقة العدة التى تشمل المأكل.. والملبس.. والمسكن.. ونفقة المتعة أيضا قالت مستفسرة:

– وما نفقة المتعة هذه يا هيكل افندى..؟

قال:

– مكافأة نهاية الخدمة يا ست أشواق.. مثل مكافأة عزت الذى سيأخذهامن هيئة النقل العام عند خروجه من عمله فى سن المعاش.

قالت فى شىء من الفزع والاستنكار.

– مثل ما يأخذها هو.. لا.. أنا لا أريدها.. لا أريد أن آخذ أى شىء يأخذ هو مثله..

قال فى اندهاش:

– لماذا..؟ أنت ستحصلين من هذه النفقة على مبلغ ليس بالقليل.. إنه فى حدود أربع مائة.. أو خمس مائة جنيه على الأقل.

قالت مستفسرة:

– وهل تحبسه هذه النفقة إذا عجز عن سدادها..؟

قال هيكل:

– للأسف لا.. مبلغ هذه النفقة فى نظر القانون دين مدنى يدفع عند اليسر.. النفقة الوحيدة التى تحبسه إذاعجز عن سدادها هى نفقة العدة.. أى النفقة الشرعية للمأكل والملبس.. والمسكن..

قالت في لذة للانتقام:

- هذه هي التي أريدها.. وإن كل أملي أن أراه محبوسا بين المجرمين وقطاع الطرق.

قال هيكل:

- تحت أمرك أنا والأستاذ ورهن اشارتك.. متى تريدين رفع هذه القضية..

قالت:

- خير البر عاجله.. غدا إن شاء الله..

قال هيكل:

- كما تريدين.. واتكلى على الله وعلى الأستاذ .. ولا يكن عندك أي فكر.. الأستاذ سيعمل كل ما يرضيك.

ويمد هيكل يده إلى أشواق وهو يستطرد:

- والمطلوب منك الآن أن تدفعي مقدم الأتعاب..

أشواق تخرج من كيس نقودها ورقتين ماليتين من فئة العشرة جنيهات وتعطيهما لهيكل افندي قائلة:

- ها هو مقدم الأتعاب..

ثم تخرج من كيس نقودها خمسة جنيهات وتعطيهما لهيكل قائلة:

- وها هو مقدم اتعابك أنت الآخر..

قال هيكل في فرحة شديدة وهو يأخذ منها الجنيهات الخمسة

- ربنا يأخذ لك عمر عدوك المدعو عزت على المنشاوى..
من يد لا نعدمها أبدا.. يا أصيلة يا ابنة الأصول.
قالت وهى تهم وتسير إلى خارج الغرفة.
- لا أوصيك يا هيكل افندى.. وأنا ليس لى بركة إلا أنت..
قال مطمئنا اياها:
- اطمئنى يا ست هانم.. أبعد كرمك الذى فاض علىّ من المعقول ألا اهتم بالموضوع.. تأكدى أن موضوعك هذا سيكون عندى أول الموضوعات اهتماما..
ونشط هيكل افندى وأستاذه فى القضية الخاصة بأشواق وحصل لها على حكم بالنفقة.. وغابت الفرحة من وجه عزت.

****

وفى اليوم التالى كان عزت يجلس بجوار بوفيه عم رجب مهموما وحزينا وفى حالة وجوم وشرود تام وحوله زملاؤه السائقون وهم متعاطفون معه مما أصابه من زوجته السابقة أشواق ويشاطرونه همومه وأحزانه.. حيث يقول له السائق عكاشة:
- هون على نفسك يا أسطى عزت.. ولاتعبأ بما فعلت أشواق..
اجعلها لا تهز شعرة من شعر رأسك.
قال عزت فى تأثر شديد:
- كيف لا أعبأ بما فعلت.. ولا أجعلها تهز شعرة من شعر رأسى..

وأنا لا أملك من الجزء المنفذ به من متجمد النفقة الذى حكم به القاضى لها ولا مليم.. والتنفيذ بالدفع أو الحبس.

قال زميله كامل:

- يا فرحة ما تمت أخذها الغراب وطار.. احنا ما صدقنا إنك تخلصت منها ومن جنونها إلى الأبد.. والتقطت أنفاسك.. إنها امرأة مشاكسة حقا..

قال زميله مدبولى معترضا على كلام الأسطى كامل:

- حقها يارجال .. لا تؤاخذونى.. إن الحق حق ولا يجب أن نغضب منه.

قال زميله عكاشة معترضا على كلام الأسطى مدبولى:

نحن لم نقل شيئا يا أسطى مدبولى.. حقها تأخذه على دائر مليم ولكن تأخذه بالود والتفاهم دون محاكم ولا قضايا.

قال عزت فى تأثر لمدبولى:

- إنها لخبيثة يا أسطى مدبولى.. لقد حصلت على حكم بنفقة خمسين جنيها كل شهر لها وللبنت.. وتركتنى شهرين دون مطالبة بهذه النفقة حتى أصبح متجمدها مائة جنيه.. والذى يدهشنى: لماذا لم تأخذ نفقتها شهرا بشهر وتجمدها كل شهرين.

قال عكاشة:

- إنها تلاعبك كما يلاعب القط الفأر.. فبدلا من أن تنفذ عليك بدفع

الخمسين جنيها دفعة واحدة كل شهر تجمد النفقة كل شهرين وتطالبك بالمائة جنيه لكى تعجزك عن الدفع وتحبسك.. إن كيدهن عظيم..

قال عزت:

– الفأر يتعذب من مداعبات القط الذى يصطاده.. ويتعذب وهو يهرب فيلاحقه بمخلبه، ويتعذب عندما تلامسه شوارب القط وأسنانه دون أن يناله أذى، والذى يعذبه شيء واحد هو الأمل فى أن يعيش وهو يرى نفسه فى دوامة الموت، والمحكوم عليه بالإعدام يموت ألف مرة قبل أن يلتف الحبل حول رقبته وفى كل مرة يتعذب أيضا.. الأمل يعذبه.. وما ذنبى أنا حتى أتعرض لكل هذا العذاب؟

قال رجب:

– هذا قدرك يابنى.. ولو علمت مافى الغيب لاخترت الواقع.

قال كامل لعزت:

– لا تحمل هما لذلك يا أسطى عزت..

قال عزت وهو مهموم:

– كيف لا أحمل هما وأنا لايوجد معى ولا مليم من المائة جنيه المنفذ بها.. والتنفيذ فورا بالدفع أو الحبس..

قال عم رجب صاحب البوفيه لعزت:

– من الممكن أن ترفع عليها دعوى تستأنف الحكم الصادر

لصالحها.. تطالب فيها بخفض مبلغ النفقة.. وهذه الدعوى ستوقف تنفيذ حكم النفقة لحين الانتهاء من القضية.

قال عزت لرجب:

– قد حدث ماتقول يا عم رجب.. استأنف المحامى الخاص بى الحكم وطالب بخفض مبلغ النفقة، وهى الآخرى استأنفت الحكم وطالبت بزيادة النفقة لأكثر من خمسين جنيها.. وطالب المحامى الخاص بى بضم القضيتين.. وبعد أخذ وعطاء أيد القاضى الحكم السابق وهو الخمسون جنيها.

قال زميله جابر:

– علينا الآن أن نتدبر الأمر.. ماذا ستفعل يا أسطى عزت؟

قال عزت وهو كالتائه:

– لا أدرى ماذا أفعل الآن.. والعين بصيرة واليد قصيرة. من أين أدفع لها المائة جنيه النفقة.

قال زميله كامل للجميع:

– أنا عندى اقتراح..

قال زميله جابر

– وما هذا الاقتراح. ؟

قال كامل:

– نبحث له عن جمعية يقبضها هو الأول ويسدد منها النفقة.

قال عكاشة:
- وإذا لم نجد له جمعية..؟
قال جابر:
- نبحث عن أفراد معنا ونكونها نحن ونعطيها له.
قال عزت واليأس يتملكه:
- وإذا لم نجد أفرادا ..؟
قال مدبولى لعزت فى شىء من التفاؤل:
-يا أخى لا تعقدها هكذا.. سنجد بمشيئة الله أفرادا.
وإذا حكمت ولم نجد أفرادا.. أنا أقول إذا لم نجد.. نجمع لك المبلغ منا جميعا ونعطيه لك على سبيل السلف..
وأنت تسدد لنا براحتك..
قا ل عكاشة لعزت فى فرح ليخرجه من همومه وأحزانه:
- ماذا هناك بعد أن حلها لك الأسطى مدبولى..؟
ماذا يجعلك مهموما وحزينا هكذا.. هيا أفرح.. وأمرح وارفع الهم والغم عن كاهلك.. وعن رأسك .. انت يلزمك واحد شاى مظبوط من يدى عمك رجب..
عكاشة مناديا على عم رجب:
- عم رجب.. يا عم رجب..
قال رجب من بعيد:

- نعم يا أسطى عكاشة.. ماذا تطلب..؟

قال عكاشه :

- واحد شاي من يدك الحلوة للأسطي عزت علي حسابي الخاص يكون مظبوطا علي مزاجك ..

متراجعا :

- والا أقولك .. هات لنا جميعا براد شاي ...

قال رجب من بعيد :

- سوف أكون جاهزا بالشاي بعد دقائق ...

وقد سدد عزت النفقة لأشواق بمساعدة زملائه الأربعة وعم رجب . وبعد شهرين من السداد ...

******

استدعي قسم الشرطة التابع له سكن عزت ، عزت .ودخل غرفة الشاويش النوبتجي وخلفه أحدالعساكر ليجد الشاويش في الغرفة جالسا خلف مكتبه يراجع بعض الأوراق ، وأمامه أحد الأشخاص، وأحدالعساكر، بينما اشواق جالسة هي ووكيل المحامي هيكل افندي ذو البدلة المزركشة الذي كان يصلح أكثرللعمل بها في السيرك كمهرج، لشكله الكاريكاتيري المضحك في أحد أركان الغرفة ثم يعطي الشاويش الأوراق التي كان يراجعها للعسكري الذي أمامه ويؤدي له العسكري قبل

انصرافه هو والشخص الذي معه التحية العسكرية وكأنها قنبلة زلزلت المكان ثم يدخل العسكري علي الشاويش ومعه عزت ويبادره العسكري قائلا :-

- تمام يا فندم ..

وهو يشير بيده علي عزت :

-المدعو عزت علي المنشاوي بشحمه ولحمه ...

قال الشاويش محدثا عزت :

- أنت المدعو عزت علي المنشاوي السائق بهيئة النقل العام ؟

قال عزت وهو كأرنب مذعور من ذئب أو ثعلب يريد أن يفترسه وفي تلعثم من شدة الرعشة التي تملكته :

- نعم يا حضرة « الصول» أنا عزت علي المنشاوي ..

قال الشاويش وهو يشير لعزت بيده إلي الأمام :

- إذن تعال وقف هنا أمامي

يتحرك عزت من مكانه في شيء من التردد والخوف وبقية من الرعشة التي تملكته من قبل ويسير ليقف أمام الشاويش . بينما يقف العسكري بينه وتقوم أشواق من جلستها هي وهيكل افندي بناء علي أمر الشاويش ويقفان يسار عزت ، ثم ينظران -اي اشواق وهيكل- إلي عزت بنظرات الشماته والانتصار .. عندما يحدثه الشاويش عن سبب استدعائه للقسم :

- انت يا عزت عليك نفقة شرعية لمطلقتك السيدة اشواق عبد الحميد الهواري مبلغ وقدره مائة جنيه ، ومطلوب منك دفعه الآن في التو واللحظة ، ماذا قلت ....؟

قال عزت في لجلجة وما زالت بقية من الرعشة واللعثمة تلازمه :

- أنا يا حضرة « الصول »

قال الشاويش مقاطعا :

الست اشواق معها حكم حبس

هل ستدفع أم تحبس ؟ ماذا قلت ؟

قال عزت وهو مهموم وحزين وتعلو الكآبة وجهه ووجوم لا نظير لهما :

- قلت لا إله إلا الله ..

قال الشاويش لعزت وقد نفد صبره :

- ونعم بالله و لكني لم اسمع منك حتي الآن إذا كنت علي استعداد للدفع أم لا .. ستدفع أم نقوم بعمل اجراءات الحبس .

قال عزت لاشواق في غيظ شديد :

- أيعجبك هذا ؟ اتعجبك هذه « البهدلة والجرجرة » في اقسام البوليس؟

قالت أشواق لعزت في ارتياح شديد والفرحة والسعادة تظهران علي وجهها وهي تنظر له بنظرات شامتة تملأها لذة الانتقام ونشوة الانتصار:

- نعم يعجبني هذا ، أنت حتي الآن لم تر مني شيئا يا زير النساء يا ملوث الذيل يا نجس طول بالك عليّ يا سافل يا مجرم .. إن ما أديت بك إلي الجنون وشيبتك قبل الأوان .. لا أكون أشواق ابنة عبدالحميد الهواري .

قال عزت لاشواق في انفعال شديد وهو يتوعد ها بالنيل منها.

- أنت تؤدين بي الي الجنون وتشيبينني قبل الأوان ؟

إذن أنت تعلنين عليّ الحرب يا اشواق ؟ أليس كذلك ؟

سوف نري من فينا الذي سيؤدي بالجنون للآخر ويشيبه قبل الأوان وكما يقولون الشاطر هو الذي سيضحك في النهاية ..

قال الشاويش لأشواق في جدية وحدة وكأنه يأمرها :

اصمتي يا ست أشواق .. امسكي عليك لسانك واتركينا نعمل في صمت وهدوء ..

ثم يلتفت إلي عزت ويقول له بنفس جديته وحدته وكأنه يأمره هو الآخر :

- اصمت أنت الآخر يا عزت ، ليس لك شأن بها وكن معي أنا ..

قال هيكل لعزت مرددا كلام الشاويش :

- نعم ليس لك شأن بها يا عزت وكن مع حضرة الصول من أجل أن ننتهي من تنفيذ الحكم ..

قال عزت لهيكل وهو ينظر له بنظرة ساخرة :

- ومن تكون أنت حتي توجه لي هذا الكلام ؟

قال هيكل بزهو وافتخار :

- أنا بكل فخر واعزاز الاستاذ هيكل .. هيكل أبو هلال الهيكلي وكيل الاستاذ عبد الصمد عبد القادر المحش بفتح الميم والحاء وسكون الشين ، المحامي لدي جميع المحاكم المدنية بدرجاتها ، والجنايات بدرجاتها والأحوال الشخصية يعني تقدر أن تقول بأنه محام شامل وأتيت اليوم مع السيدة اشواق بصفتي الشخصية من أجل أن أباشر إجراءات تنفيذ الحكم ....

قال الشاويش صارخا فيهم جميعا :

- كفي .. أنا ليس عندي وقت لكي أضيعه معكم في هذه المهاترات ..

ثم يلتفت الشاويش إلي عزت ويقول في جدية وحدة وكأن صبره قد نفد :

أأنت جاهز الآن بالمبلغ المحكوم عليك به يا عزت ؟

قال عزت وهو مهموم وحزين :

- لا يا حضرة الصول
قال الشاويش :
اذن تحبس..
يلتفت الشاويش الي العسكري ويأمره :
- ضعه يا عسكري في الحجز إلي أن نقوم بترحيله إلي السجن ؟
قال عزت في شيء من الفزع الممزوج بالدهشة والاستغراب :
السجن.. أحبس في السجن !!
قال الشاويش :
- نعم تحبس ، لأن القانون واضح وصريح والحكم الصادر لصالح السيدة اشواق يقول هذا يا إما الدفع يا إما الحبس ..
قال عزت في شيء من الاستعطاف والرجاء :
- اذن اسمح لي يا حضرة الصول في التفاهم مع السيدة اشواق لإنهاء هذا الموضوع .
قالت اشواق في شيء من الغضب والعناد لعزت :
- أنا لا أتفاهم مع أمثالك والحكم الصادر لصالحي يقول إما الدفع وإما الحبس ، ولعلمك إنني لا أريد المائة جنيه المحكوم عليك بيها ،والذي أريده هو أ ن أراك محبوسا ،ويدخلونك الزنزانة أمامي مع المجرمين وقطاع الطرق والقتلة والسارقين

والنشالين .

قال عزت منفعلا علي اشواق:

– لا لن أنولك ما تريدين .. لا لن اعطيك هذه الفرصة ابدا يا أشواق ياابنة عبد الحميد الهواري ، ولاخر يوم من عمري لن يحدث هذا .. لا .. لن أجعلك تشمتين في ابدا ..

– قال عزت للشاويش :

– بعد إذن حضرتك يا حضرة الصول أن أذهب إلي البيت لاحضار المبلغ .

قال الشاويش :

– أنا ليس لدي أي مانع ، سأعطيك هذه الفرصة ..

يلتفت الشاويش للعسكري ويقول له :

– معه يا عسكري إلي البيت لإحضار المبلغ وتأتي به إلي هنا لاستنكمال الاجراءات إياك أن تتركه يفلت منك هنا أو هناك ...

قال عزت ساخرا :أفلت أين أفلت يا حضرة الصول ؟ كيف أفلت منكم أأترك عملي وأهدم بيتي ومستقبلي من أجل مائة جنيه؟

ثم يلتفت عزت إلي اشواق ويقول لها وهو يهم ليسير ومعه العسكري في غيظ شديد: راجع لك مرة أخري يا اشواق يا ابنة عبد الحميد الهواري .

******

وفي الوقت الذي خرج فيه عزت من قسم البوليس كانت مجموعة السائقين زملاؤه في قلق شديد عليه لغيابه عن العمل وهم مجتمعون بجوار بوفيه عم رجب ، وأول من عبر عن هذا القلق الاسطي عكاشه حيث قال للجميع :

- إني مشغول للغاية لغياب الاسطي عزت عن العمل يا تري لماذا غاب اليوم عن العمل ؟

قال زميله جابر :

- ليس من عادته أن يغيب هكذا دون إخبار الهيئة واخبارنا لعل في غيابه يكون خيرا .

قال مدبولي مطمئنا لهما :

- سيكون خيرا إن شاء الله والغائب حجته معه كما يقولون فلا داعي لكل هذا القلق وربما يكون الآن في الطريق إلينا .

قال كامل :

- أنا قلبي يحدثني بأنه حدث له مكروه ، وهذا يجعلني في قلق شديد عليه ، وإن كان حدث له مكروه فتكون وراءه مطلقته اشواق ..

قال عكاشة :

من يعرف لعله يكون مريضا أو واقعا في ورطة مع مطلقته أشواق..

جابر يري عزت آتيا من بعيد فيحدث الجميع قائلا :

- الأوسطي عزت قد وصل انظروا في هذا الاتجاه تجدونه آتيا ومعه عسكري

قال كامل للجميع :

- الآن سوف نعرف كل شيء ، ولو أن إحساسي يقول لي ما قلته لكم من قبل إذا حدث له مكروه سيكون وراؤه أشواق طليقته وها هو المكروه قد حدث ، لابد أنها وراء حضور العسكري لعزت .

وما إن انتهي كامل من كلامه حتي دخل عليهم عزت ومعه العسكري وألقي عليهم تحية الاسلام .

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قال الجميع في نفس واحد :

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ..

فقال عكاشة لعزت في شيء من الفزع :

- خيرا يا أسطي عزت ، ماذا هناك ؟ لقد شغلتنا عليك بغيا بك خيرا إنشاء الله ماذا هناك ؟

قال عزت للجميع :

- لا لا شيء غير أن أشواق في القسم وتريد تنفيذ حكم نفقة بمائة جنيه بالدفع أو بالحبس ...

قال جابر في شيء من الدهشة والاستغراب :

- حكم آخر غير الذي نفذته في الشهر الماضي ؟

قال عزت :

- نعم ..

قال كامل للجميع :

- ألم أقل لكم إنها وراءحضور العسكري أنا عمرإحساسي ما خاب معي ..

قال مدبولي لكامل :

-انتظر يا كامل حتي نعرف من الأسطي عزت ماذا تم ..؟

قال مدبولي لعزت :

- أكمل كلامك يا أسطي عزت :

قال عزت

- الأخ الشاويش جاء في البيت قبل الخروج لعملي في الصباح ، ودون أن يحس بنا أحد أخذني معه إلي القسم .

قال عكاشة مستفسرا :

- وماذا تم هناك ؟

قال عزت :

-أنااستأذنت من حضرة الشاويش النوبتجي أن يعطيني فرصة لاحضارالمبلغ وقد وافق مشكورا وأرسل معي الأخ ..

قال كامل:علي حضرة الشاويش ما يشرب الشاي نكون قد جمعنا لك المبلغ .
المبلغ ينادي كامل علي رجب لاحضار الشاي :
-.يا عم رجب ، هات واحد شاي هنا لحضرة الشاويش ..
قال رجب من قريب وكأنه كان معهم والتقطت أذناه كل ما دار بينهما من حديث :
- حاضر ، إني أت أسرع من البرق بالشاي التمام يدخل عليهم رجب ويقدم الشاي للعسكري قائلا :
- اتفضل يا حضرة الشاويش ، أحسن شاي في «الخط »كله
ثم يخرج رجب حافظة نقوده ويخرج منها بعض الأوراق المالية ويعطيها لعزت قائلا:
- خذ يا أسطي عزت . هذا كل ما معي .. خمسة وعشرون جنيها ، لو كان معي أكثر منهم ما بخلت عليك بهم و إنك ابن حلال وتستحق كل خير ..
قال عزت لرجب شاكرا :
-شكرا جزيلا يا عم رجب علي شهامتك،،الله سيجازيك عني خير الجزاء ، ولا يوقع بك في ضيق أبدا .
السائقون الأربعة يتسابقون لإعطاء عزت الأوراق المالية . قال عكاشة:

- ومني ستة وعشرون جنيها ..

وقال مدبولي :

- ومني عشرون جنيها .

وقال كامل :

- مني خمسة عشر جنيها ..

وقال جابر :

- ومني أيضا خمسة عشر جنيها .

قال عكاشة لعزت مهللا :

- هيا افرح وأمرح يا أخي ، معك الان مائة وواحد جنيه، بالتمام والكمال وهذا يسدد المبلغ المطلوب منك ويفيض منه جنيه .

قال عزت والدموع تترقرق في عينيه من فرط الفرحة والسعادة:

شكرا جزيلا لكم جميعا والله يقدرني علي رد جميلكم .

قال رجب :

- لا تقل جميل يا رجل ، الناس لبعضها وأنت رجل في محنة ويجب علينا أن نقف إلي جوارك في محنتك .

وأنت رجل شهم وتستحق كل خير ...

******

وقد سدد عزت النفقة لأشواق وتوالت عليه أحكام النفقة حكم

يتلوه حكم حتي بلغت تسعة أحكام ..
وأشـواق لا تهدأ تنتقم منه في نهم شـديد ,يسـاعدها في ذلك الداهية هيكل افندي لسخاء يدها له وهو في سبيل مصلحته يقوم بعمل أي شيء.وها هو جالس خلف مكتبه ببدلته المزركشة يحدث أشواق الجالسة أمامه وكأنه يكمل حديثا كان دائرا بينهما:
– هذا عاشر حكم نفقة تأخذه عليه بمائة جنيه ، وبعد أسبوع بالكثير يمكن لنا أن ننفذه .
قالت :
– الأسبوع كثير جدا يا هيكل افندي ..
قال :
– لا . ليس بكثير . هناك إجراءات لابد وأن تتم قبل تنفيذ الحكم ، لماذا تستعجلين تنفيذ الحكم هكذا ؟
قـالت اشـواق بكل الحـقـد والكره الموجـود في كل نفـوس البشر :
– أريد أن افرح فيه، أريد أن اراه في سرعة هائلة وهو مذلولا في السجن .
تخرج أشواق من كيس نقودها ورقة مالية من فئة الخمسة جنيهات وتعطيها لهيكل وتقول له مستطردة :
– والآن متي يمكن لنا تنفيذ الحكم ... ؟

قال هيكل وهو يأخذ الخمسة جنيهات في فرحة شديدة :
- الآن لو أحببت ، في التو واللحظة ..
قالت ضاحكة :
- والاجراءات ؟
قال وهو يقلب الورقة المالية فئة الخمسة جنيهات في فرحة وسعادة :
- الخمسة جنيهات قامت بكل الاجراءات وأنا من هذه اللحظة تحت أمرك ورهن اشارتك ..
ما رأيك ننفذ الآن ؟
قالت والابتسامة تعلو وجهها :
- ننفذ الآن ، هيا بنا ..

******

لم يكذب هيكل افندي خبرا ..فالخمسة جنيهات التي منحته إياها اشواق عملت مفعولا وحركته وجعلته يسير كالرهوان في ميدان السباق .
وفي سرعة البرق كان في قسم البوليس هو واشواق وقدم الحكم لضابط المباحث النوبتجي وطلبا منه تنفيذه في التو واللحظة ، وأرسل الضابط أحد أمناء الشرطة لاستدعاء عزت ..
وأخذ عزت أمين الشرطة وذهب به إلي جراج الاتوبيس

الخاص به لمقابلة أصدقائه السائقين الأربعة وعم رجب لتدبير الأمر معهم .

وفي بوفيه عم رجب كان السائقون الأربعة جالسين يوزع عليهم عم رجب أكواب الشاي وبعد فترة يدخل عليهم عزت ومعه أمين الشرطة ويستقبله زميله عكاشه في فزع شديد قائلا :

– خير يا أسطي عزت ، ماذا هناك .؟

عزت تائه بين همومه وأحزانه ولا ينتبه إلي كلام عكاشه ولا يجيب علي سؤاله وقد أجاب عليه أمين الشرطة :

– صدر ضده حكم حبس بنفقة السيدة اشواق عبدالحميد الهواري طليقته والحكم واجب النفاذ الآن في التو واللحظة .

قال كامل مستفسرا :

– وما مقدار المبلغ المحكوم به يا حضرة الأمين ؟

قال الأمين :

– مائة حنيه ..

كل هذا وعزت شارد وغائب عن الوجود لا يدري بمن حوله ويهزه زميله عكاشة بيده لكي ينتبه لهم وهو يقول له :

– أفق يا عزت .. انتبه لنفسك ، لا وقت لشرود والسرحان ثم يفيق عزت من غفوته و يلتفت إلي عكاشه ويحدثه في شيء من الذل والمهانه :

- ما رأيك يا اسطي عكاشه ؟
قال عكاشه له في شيء من الحرج والخجل : - الحقيقة يا اسطي عزت أنا أحوالي المالية سيئة هذه الأيام وكما يقولون العين بصيرة واليد قصيرة وأنا ..
قال عزت لعكاشه مقاطعا في ضيق شديد:
- كفي أرجوك يا اسطي عكاشه أن تقف عند هذا الحد من الحديث ..
ينظر عزت الي السائقين الثلاثة الآخرين فيجدهم لا يبدو عليهم الاستعداد لمساعدته ويضعون جميعا وجوههم في الأرض خجلا ثم ينظرعزت إلي عم رجب صاحب البوفيه ويحدثه قائلا:
- وأنت يا عم رجب ..
قال رجب في شيء من الحرج والخجل :
- لا أخبيء عليك يا ولدي ، كل النقود التي كانت معي اشتريت بها شايا وسكرا وبنا ولم استفتح بعد ، الله وحده القادر بأن يفرجها عليّ وعليك .
عزت يشرد بفكره ويقول في نفسه :
لكم كل الحق في عدم معاونتي في محنتي هذا شيء زاد عن حده تسعة مرات وأنت تساعدونني في تسديد النفقة في الأحكام التسعة السابقة وأنا ما زلت حتي الآن مدينا لكم ببعض

المبالغ و من غير المعقول منطقيا أنكم تسددون لي النفقة الجديدة أنا اثقلت عليكم وحملتكم حملي الثقيل الذي يجب أن أحمله وحدي ..

وهو يكاد يبكي يستطرد عزت لنفسه :

– أنا لو وضعت في حصالة كل يوم نصف جنيه كنت وجدت في النهاية مبلغا يساوي قيمة النفقة في أي حكم و لكني لم افعل كنت انفق كل دخلي علي نزواتي وشرب الخمر وتعاطي المخدرات ولا أعمل حسابا لهذا اليوم إنكم لم تخطئوا في حقي بل أنا المخطئ في حق نفسي، ويجب أن أفيق وانتبه لنفسي ولا أقف هذا الموقف المخزي أمامكم مرة أخري أنا لست غاضبا منك، نعم لست غاضبا منكم .

عزت ينتهي من حديثه مع نفسه ثم ينظر إلي أمين الشرطة ويحدثه في شيء من التأثر وهو يهم ليسير :

– هيا بنا يا حضرة الأمين ..

عم رجب يستوقف عزت ويحدثه حديثا ينم عن تعاطفه معه :

– انتظر يا ولدي يا عزت لم تقل لي ماذا ستفعل ؟

قال عزت لرجب وهو كالتائه :

– لا أدري ، ولكني افكر أن استدين هذا المبلغ من الجيران حتي لا أعطي فرصة لأشواق لحبسي وسجني واعدك ياعم

رجب بأني لن أقف هذا الموقف المخزي أمامكم مرة أخري وسأدخر من راتبي كل شهر لأحكام النفقة القادمة إنشاء الله.

قال رجب :

أرجو ألا تكون غاضبا منا يا ولدي ..

قال عزت :

- بالعكس أنا لست غاضبا منكم وكان يجب أن يحدث هذا لكي أفيق لنفسي وربنا يقدرني علي رد جميلكم إنكم فعلتم معي ما لا يفعله الأهل ولن أنسي لكم هذا ما حييت ..

ثم يلتفت عزت إلي أمين الشرطة ليحثه علي السير قائلا :

- هيا بنا يا حضرة الأمين ..

- ويسير عزت ومعه أمين الشرطة واستدان من الجيران مبلغ النفقة وسدده لأشواق ولكن اشواق لم تكتف بحصولها علي النفقة بل أخذت تكيد وتدبر له مع الداهية وكيل المحامي هيكل افندي ...

******

تكيد أشواق وتدبر لعزت مع هيكل تحدثه وكأنها تكمل حديثا كان دائرا بينهما :

- أيصعب علينا سجنه يا هيكل افندي ؟

قال هيكل :

- حتي الآن لم يقصر عزت في دفع النفقة في العشر أحكام السابقة وطالما أنه يقوم بسداد النفقة ليس لدينا عنده شيء ..

قالت مستفسرة :

- ماذا تعني ؟

قال : أعني أننا لا نقدر علي سجنه

قالت اشواق بكل الحقد الموجود في نفوس كل البشر وبغيظ شديد ..

- أنا نفسي أراه وهم يدخلونه السجن وفي يده الحديد مثل المجرمين ساعتها الدنيا لن تسعني من الفرحة والسعادة وأشعر بلذة الانتقام منه لنفسي ونشوة الانتصار عليه .

ما أحلي لذة الانتقام ، ونشوة الانتصار ثم تلتفت إلي هيكل و تقول له:

- فكر يا هيكل افندي في طريقة توصله إلي السجن ولك عندي مكافأة كبيرة .....

يفكر هيكل افندي في كلام اشواق ويفكر أكثر في المكافأة الكبيرة التي وعدته أشواق بمنحه إياها إذا وجد الطريقة التي تسجن بها عزت ..

ويجد هيكل في التفكير من أجل المكافأة إنه إنسان بلا ضمير ويؤثر المال علي أي شيء حتي ولو كان في هذا الشيء سجن

برئ ، وبعد شوط كبير من التفكير هرش رأسه ، يحدثها وكأن لمعت في رأسه الفكرة المطلوبة :

– لقد وجدتها كانت تائهة ولكني وجدتها

قالت :

– ما هذه التي وجدتها ؟

قال في زهو وافتخار :

– الطريقة التي تسجنين بها المدعو عزت علي المنشاوي لقد قدحت زناد فكري،وبحثت في كل الطرق حتي وجدتها ..

قالت في لهفة وفرحة شديدة :

– ما هي ؟ أسرع ؟ أئتني بها ؟ إنك لداهية من دواهي الزمن .

قل هيكل وهو واثق من نفسه :

– نقيم ضده دعوي بتبديد عفشك ومنقولاتك وهذه القضية الحكم فيها بحد أقصي ستة أشهر بشرط أن تكون هناك قائمة بالمنوقولات والعفش؟

قالت أشواق وهي كالتائهة غير مصدقة:

– نعم

قال :اذن ليس هناك مانع من اقامة الدعوي والسير في اجراءات القضية.

اشواق تغمر ها فرحة شديدة وتكاد فكرة هيكل لسجن عزت تطيح بعقلها في دنيا غير الواعين الذين لا يدركون ما حولهم ويتمتعون بنعمة العقل وتقول لهيكل في دهشة بالغة غير مصدقة ..

– أنا غير مصدقة لما اسمع ، ستة أشهر سجن أنا كنت لا أحلم باكثر من شهر واحد ..

قال مستطردا في زهو وافتخار :

– هذا غير أتعاب المحاماه وخلافاها التي سيقوم بدفعها هو.

قالت في ثناء كبير:

– حقيقة افكارك تهوس يا هيكل افندي ألم أقل لك إنك داهية من دواهي الزمن إنك تستحق علي هذه الفكرة الهائلة عشرة جنيهات قطعة واحدة قالت وهي تعطي لهيكل ورقة مالية فئة العشرة جنيهات :

– ومتي نرفع هذه القضية ؟

قال وهو يأخذ العشرة جنيهات

– في أي وقت تريدين أنت عليك أن تأمري ونحن علينا التنفيذ أنا والاستاذ تحت أمرك ورهن اشارتك و في خدمتك.

وفجأة تزول الفرحة والسعادة من وجه اشواق ويحل محلهما

بوجوم تام ثم تقول لهيكل :

- ولكن كيف سنثبت أن عزت قد بدد العفش والمنقولات ؟

قال في زهو وافتخار :

- هذا عملنا نحن لنا طرق نسير بها قضايانا ..

اطمئني ولا تحملي أي هم لذلك سيحكم لصالحك ويسجن إنشاء الله ثلاثة أو أربعة أشهر علي الأقل ..

قالت في فرحة شديدة :

- علي خيرة الله ، أنا رأيي أننا نرفع القضية في أسرع وقت ممكن وليكن من الغد .. من الغد تقوم بعمل كافة الاجراءات ..

قال هيكل وهو يهم ويقوم من جلسته ليسير إلي غرفة الاستاذ المحامي...

وهو كذلك ، هيا بنا إلي الاستاذ ..

وسار المحامي في اجراءات القضية ورفعها وتابعها حتي حكم فيها ..

وفي يوم الجلسة وعند دخول عزت من باب المحكمة فوجيء بطليقته اشواق تجلس بين جموع النسوة وقد ارتفع حديثهن عن القضايا والنفقة والحضانة وسب الرجال ولعن الأيام السودة التي كتبت عليهن بهذا الزواج ونظر إلي زوجته السابقة في حيرة وغيظ شديد وإلي ابنته وهي تجلس علي حجر أمها وتعبث

بأصابعها في العقد المتدلي من صدرها وأدار وجهه إلي الجهة الأخري في تبرم وضيق ومضي في طريقه ولكن طليقته لمحته فاستدارت بوجهها إليه ونظرت له بنظرة تملأها لذة الانتقام وفرحة الانتصار وصدر الحكم علي عزت بأربعة أشهر حبسا.

******

وذات يوم زاره زملاؤه الأربعة ومعهم عم رجب في السجن ، وأخذوا يواسونه علي سجنه ويبدأ عكاشة بذلك حيث قال له :

- شد حيلك يا أسطي عزت ؟

قال عزت وهو مهموم :

الشدة علي الله ..

قال مدبولي مستفسرا :

- ماذا حدث يا أسطي عزت ؟ نحن عندما وجدناك لم تحضر إلي العمل توجهنا إلي البيت للسؤال عنك والاطمئنان عليك ، وعندما سألنا عليك الجيران قالوا إنك قبض عليك ..

قال كامل مكملا لكلام مدبولي :

-، ولما سألنا عن سبب القبض عليك كل واحد قال لنا حكاية الذي قال مخدرات ...

قال رجب مكملا لكلام كامل :

- والذي قال هيروين ..

قاد حابر مكملا لكلام رجب :

- والذي قال أفيون ..

قال عكاشه مكملا لكلام جابر :

- والذي قال حقن ماكستون فورت

قال عزت لعكاشه :

- يقولون في الأمثال عندما يقع العجل يا اسطي عكاشه تكتر سكاكينه والناس كالعادة تحب تهول كثيرا وتعطي للشيء أكثر من حجمه .

قال مدبولي :

- لم نقدر علي فهم أي شيء منهم ولكن هناك شخصا واحدا لم يتهمك بشيء وكل الذي قاله لنا إن قوة من رجال الشرطة حضرت إلي بيتك وقبضت عليك في هدوء تام ، دون أن تفصح عن سبب القبض عليك .

قال عزت :

- هذا هو الذي أراح نفسه وترككم تعرفون الحقيقة بأنفسكم .

قال عكاشة مستفسرا :

- وما الحقيقة ؟ نريد أن نعر ف لماذا قبض عليك وسجنت ؟

قال عزت وهو مهموم و حزين :

– اشواق هي التي ادخلتني السجن

قال رجب مستفسرا :

– لماذا ؟ ألم تكن تدفع لها النفقة كلما حكم لها بها .. أليس كذلك ؟

قال عزت :

– نعم.. نعم. أنا لم أتأخر مرة واحدة عن دفع النفقة لها .

قال كامل مستفسرا :

– إذن لماذا سجنتك مادمت تعطيها حقها أولا بأول ؟

قال عزت :

– عندما عجزت عن سجني بالنفقة فكرت هي والداهيتان المحامي ووكيله في سجني بقضية تبديد .

قال جابر في دهشة بالغة مستفسرا :

– تبديد ؟ تبديد ماذا عدم المؤاخذة؟

قال عزت :عفشها ومنقولاتها

قال مدبولي في دهشة بالغة مع شيء من الغيظ مستفسر: قضية بتهمة تبديد عفشها ومنقولاتها ؟

قال عزت :نعم حكم عليّ فيها بأربعة أشهر سجن وبكفالة قدرها عشرون جنيها غيابيا ..

قال عكاشة في دهشة بالغة مستفسرا :
- أربعة أشهر دفعة واحدة ؟
قال عزت في تأثر بالغ وهو يكاد يبكي:
- نعم بالرغم أني لم أفعل شيئا استحق عليه السجن صدقوني أنا سجنت ظلما عفشها ومنقولاتها التي ادعت بأني بددتهاكلها عندي.
وطلب مني القاضي تسليمها لها ، لكني رفضت تسليمها و قلت للقاضي إن هذا العفش وهذه المنقولات ملكي و ليست ملكها، لأنني الذي دفعت ثمنها من حر مالي .
قال رجب مستفسرا :
- وماذا قال القاضي لك ؟
قال عزت :
- القاضي أمام إصراري في عدم تسليم المنقولات لها حكم علي بهذا الحكم الظالم .. إنني سجنت ظلما وعدوانا ..
قال جابر :
- وهل عارضت في هذا الحكم ؟
قال عزت :
-نعم عارضت فيه ، وحجزت القضية لآخر الجلسة للنطق بالحكم، في هذا اليوم لا أنسي أبدا فرحتها وسعادتها وشماتتها في وأنا

في قفص الاتهام مع المجرمين عند النطق بالحكم .

وقال لي القاضي قبل النطق بالحكم : سلمها العفش والمنقولات وأنا رفضت ، وقلت له: هذا العفش وهذه المنقولات من حقي ..

قال رجب لعزت معاتبا :

– ولماذا العناد يا ولدي .. ؟ كان الواجب عليك أن تنصاع لرأي لقاضي بتسليمها أشياءها ، لو كنت فعلت كنت أرحت نفسك من السجن ومن هذا العذاب ...

وقال مدبولي لعزت مستفسرا :

– وهل كان تسليمك أشياءها لها ينجيك من هذا السجن ؟

قال عزت :

– لا .. فقد أصر القاضي علي تسليمها لها وحبسي فأنا قلت حبسا بحبس لا أسلمها لها .

****

بينما كان عزت يتألم ويتعذب في سجنه ، كانت أشواق فرحة سعيدة تنعم براحة البال ويظهرهذا من حديثها مع نفسها وهي راقدة علي فراشها بوجه مشرق مبتسم تعلوه الفرحة والسعادة تقول :

– اليوم فرحتي وسعادتي لا تقدر ، كل ما أردته وتمنيته قد تحقق ، يا سلام علي راحة البال وهدوء النفس والأعصاب بعد ما

أشفيت غليلي وانتقمت لنفسي من عزت وأدخلته السجن ، سجن مثل السجن الذي كان يسجنني فيه طوال السنين التي مضت ، والآن يعيش في السجن يعاني من العذاب والحرمان الذي عيشني فيهما من قبل .

ما أحلي لذة الانتقام ، ونشوة الانتصار .

******

وأتم عزت شهوره الأربعة في السجن وعندما خرج ساقته قدماه إلي إدارة هيئة النقل العام لأتوبيسات القاهرة بالجبل الأحمر وقابل المسئول عن شئون العاملين هناك وطلب منه عمل الاجراءات القانونية لكي يعود إلي عمله. ولكنه فوجيء بالمسئول يقول له دون أن يرفع وجهه عن الأوراق التي أمامه:

-عليك أن تحضر يا أسطي عزت بعد أسبوع لكي تتسلم المكافأة.

في تلك اللحظة لم ير الاسطي عزت شيئا ، وغاب عنه عقله فلم يدر ما يقول وكاد قلبه أن يكف عن الحياة ، ثم عاد وأخذ يدور بعنف وبسرعة ،والأسطي عزت يلاحقه بأنفاسه اللاهثة القصيرة .

وبعد فترة سكون ليست قصيرة قال الاسطي عزت والكلمات تخرج مختنقة جافة:

-لماذا المكافأة .. ؟

سأل ذلك السؤال وهو يعرف الاجابة ويفهم الموضوع جيدا ، فتلك المكافأة معناها أن الشركة أو الهيئة قد استغنت عن خدماته ، ولكنه سأله لعله يكون مخطئا في فهمه ولعل قانونا جديدا وجد يبيح اعطاء مكافآت لمن تقل خدمته عن عشرين عاما من العمال ..

ولم يرد رئيس شئون العاملين علي السؤال بسرعة ، بل صمت قليلا كأنه يخلق في نفس الاسطي عزت الأمل ،ثم قال وهو يرفع حاجبيه مندهشا :

- لنهاية خدمتك ..

قال عزت :

-ولماذا تنهون خدمتي؟ إني مازلت بصحتي وقادراعلي العمل.

قال رئيس شئون العاملين :

-لأن تهمة تبديد العفش والمنقولات المنسوبة إليك والتي سجنت بسببها مخلة بالشرف ، والقانون لا يسمح بالعودة بعد قضاء مدة العقوبة .

قال عزت بعد تنهيدة تنم عن المرارة والألم :

-هل القانون يجرد الإنسان من إنسانيته؟، ليس مطلوبا منكم تنفيذ القانون كما هو بحذافيره ، ولكن المطلوب منكم تنفيذ روح القانون ، مع مراعاة الجوانب الاجتماعية والانسانية وظروف وملابسات المحكوم عليهم ربما يكونون أبرياء وسجنوا ظلما

وعدوانا مثلي ..

قال رئيس شئون العاملين :

-كل اللوائح والتعليمات والمنشورات الدورية تؤيد ما جاء بالقانون.

قال عزت بسخرية

- هناك لوائح وتعليمات ومنشورات اسمها الانسانية ، ألم تسمعوا عنها ؟

قال رئيس شئون العاملين بشيء من العصبية :

- هذا الكلام لا يقدم ، بل يؤخر

قال عزت في ضيق وزهق :

-لماذا القانون والتعليمات واللوائح والمنشورات الدورية يقفون حجر عثرة في طريق أي تقدم ، متي نتخلص من هذه البيروقراطية الروتينية إنكم تلقون بي في الطريق بلا عمل ولا مورد لتزيدوا عدد المتسولين واحدا .

قال رئيس شئون العاملين بعد أن زادت عصبيته :

قلت لك من قبل ، هذا الكلام لا يقدم بل يؤخر ولا داعي للجدل دون فائدة.عليك أن تحضر بعد أسبوع لكي تتسلم المكافأة كما قلت لك من قبل ..

وهز عزت رأسه في عصبية دليلا علي ضيقه وزهقه واستدار ليخرج وهو يحس أن كل ما في الحجرة بيدور ، وأن حلقه لم يعد

قادرا علي ترك الكلمات تخرج من فمه سليمة .

وهبط درجات السلم القليلة ورجلاه تئن تحته ، وساعده درابزين السلالم في الوصول الي الشارع و سار علي الرصيف بلا غاية يقصدها وأصوات محركات السيارات والكلاكسات تدوي وهو لا يدري بها ، خلق لنفسه عالما منفصلا يعيش فيه ، لم يعد يحس بما حوله ، شارد ا مع أفكاره ، وبعد فترة لم يعرف مداها ، قطع الاسطي عزت أفكاره وجذب عقله من السرحان في الماضي محاولا أن يبحث موقفه الآن ، ماذا يعمل وقد أصبح منذ اليوم بلا عمل ومورد .. ؟

عندئذٍ أدرك أبعاد المصيبة التي حلت به ، وأن النكبة لم تكن متوقعة بهذه السرعة

ووجد الاسطي عزت أن المشكلة صعبة ، لا يمكن حلها وأحس أن الدنيا أمامه ضيقة كعين إبرة .

وظل عزت يسير علي الرصيف محتميا من أشعة الشمس بتلك الظلال القصيرة الممتدة بجانب الجدران في تراخ و حبات العرق متناثرة علي شعر رأسه وجبهته من وهج الشمس وهو يزيلها بين الحين والحين بمنديله ونعل حذائه العليل لم يمنع عنه سخونة الأرض التي جعلته يسرع خطاه وقميصه يلتصق بجسده مبللا بالعرق ..

وبعد وقت طويل لم يدر هويه لكثرة أفكاره كان قد أصبح أمام مقهي الحرية بميدان العباسية بجوار موقف الأتوبيس علي ناصية الموقف وشارع العباسية وهي تحتل معظم الرصيف الذي أمامها وعليها يجلس دائما كثير من عمال هيئة النقل العام ودخلها،و عيناه تبحثان عن إنسان يعرفه ، قبل أن تدور عيناه دورة كاملة في زوايا القهوة وعلي الكراسي المتناثرة علي الرصيف كانت أصوات كثيرة تناديه والتفت مسرعا ليجد شلة من زملائه يجلسون في ركن وملتفين حول اثنين يلعبان الطاولة بعضهم كانوا سائقين وكمسارية ، وآخرون ما زالوا في المهنة ، وتوجه ناحيتهم وقد شعر أن الغيث قد أتاه ، ووقفوا كلهم مرحبين به ، واكتشف بينهم أصدقاءه السائقين الأربعة وعم رجب صاحب بوفيه الجراج. واستقبله أصدقاؤه السائقون الأربعة ومعهم عم رجب مهنئين علي خروجه من السجن ، حيث قال له الجميع في نفس واحد :

- حمد الله علي السلامة

قال عزت والفرحة تعلو وجهه :

- الله يسلمكم ..

وانتشر الصمت برهة ثم قال الأسطي مدبولي مستفسرا بعد أن لاحظ وجوم عزت متعبامثبتا عينيه علي وجهه :

إني أراك متعبا ..ماذا فعلت مع الادارة ؟

وكان الأسطي عزت يتمني في قرارة نفسه هذا السؤال ، فهو يعرف أن وجهه بلا شك يبدو عليه التعب والارهاق ، ويريد أن يسترسل في الحديث عن سبب تعبه ولكنه ينتظر سؤالاً يمس وجيعته ، حتي إذا جاء أجاب وهو يتنهد :

– لعنة الله علي السواقة و علي مخترعها و علي اليوم الأزرق الذي أصبحنا فيه سائقين .

وظهرت الدهشة عليهم ، فما تعود الاسطي عزت أن يسب ويلعن . والتقطت عيونهم جميعا في نظرات عجب ودهشة وأعاد عليه الأسطي مدبولي نفس سؤاله السابق :

–ماذا فعلت مع الادارة ؟

وحرك الاسطي عزت رموش عينيه بسرعة ، ومر عليها بمنديله ليزيل ما تكون في زواياها من دموع لزجة و كأنه أراد بتلك الحركة أن يلفت أنظارهم لنكبته ، وقال :

–لا يريدون عودتي للعمل ، وعرفوني بأني قد فصلت من عملي ، لأن تهمة تبديد العفش والمنقولات المنسوبة لي ، والتي سجنت بسببها تهمة مخلة بالشرف ..

قال جابر في تأثر شديد :

– الحقيقة أنني متألم أشد الألم للحالة التي وصلتما اليها أنت

وأشواق .

قال عزت في تأثر شديد :

- إنها هي يا أخي جابر التي أوصلتنا إلي هذه الحالة علي أيديكم أنا حاولت التفاهم معها ، ولكن هي بعنادها ركبت رأسها ورفضت . والذي زاد علي ذلك أنها تريد أن تحرمني من ابنتي صفاء ، رافضة تماما أن أراها ووكيل محاميها يقول لي ، من أجل أن تري ابنتك لابد وأن تحصل علي حكم من المحكمة بالرؤية.

قال عكاشة في دهشة بالغة :

- أمعقول هذا الكلام ؟ بهذا الشكل البنت قد تتعقد وتخرج للحياة وهي كارهة لها وتبغض الزواج عندما تكبر .

قال عزت في استسلام

- وماذا في وسعي أن أفعل ؟

قال كامل :

-تأخذ منها البنت،و بدلا من أن تحرمك منها تحرمها أنت منها ..

قال عزت :

- كيف .. ؟ والقانون في صفها إنها الحاضنة للبنت .

قال كامل

-القانون في صفك أنت ، لأنها لا تصلح للحضانة ..

قال عزت :

– كيف .. ؟

قال كامل مستطردا

ألم تقل إنها مجنونة .. ؟

قال عزت

– لا يوجد لدي ما يثبت أنها مصابة بالجنون ، لا تقارير طبية ولا أي دليل يثبت دخولها مستشفي الأمراض العقلية والنفسية .

قال عكاشة في دهشة واستغراب

– أشد دهشتي واستغرابي كيف لواحدة مجنونة كهذه أن تخطط كل هذا التخطيط وتخطو كل هذه الخطوات في أقسام الشرطة والمحاكم هذه الخطوات لا يخطوها إلا الواعون الذين بعقولهم السليمة يقلبون الدنيا رأسا علي عقب ، أنا أشك في أنها تكون مجنونة ..

قال مدبولي مؤيدا كلام عكاشة :

– أنا معك يا أخي عكاشة ، هي فعلا بخطواتها هذه اثبتت أنها ليست مجنونة و اعقل من كل العاقلات.

قال عزت وهو مبلبل الفكر : ما معني هذا الكلام ؟ أكانت تمثل عليّ الجنون لأ نفر منها وأطلقها ؟ وأنا صدقت تمثيلها وحسبتها مجنونة فعلا وطلقتها ؟

قال جابر معلقا علي كلام عزت :

- إن كانت الحكاية بهذا الشكل و تمت بالفعل قد تكون أشواق قد برعت في تمثيل دورها الهائل واتقنته أحسن من أي ممثلة من الممثلات المحترفات لفن التمثيل ، لدرجة أنك اقتنعت فعلا بأنها مجنونة ،وسقطت كما يسقط الدلو وطلقتها .

قال كامل معلقا علي كلام جابر :

- إن كيدهن عظيم .

قال مدبولي لعزت في شيء من الدهشة والاستغراب :

- هناك شيء غامض لا أفهمه وأريد له تفسيرا ..

قال عزت مستفسرا :

- ما هذا الشيء ؟

قال مدبولي :

- أنت قلت لنا جميعا إن أشواق كانت تحبك حبا جنونيا يفوق حب ليلي لقيس و طاردتك وجرت وراءك لاهثة حتي أدمت قدميها و في النهاية لا نعرف إذا كنت الذي اشفقت عليها وتزوجتها أم هي التي أوقعتك في شباكها مثل الدبور عندما يقع في العسل ، من غير المعقول أن بعد كل هذا الحب والجري وراءك ومطاردتك تتصنع أشواق الجنون لتنفر أنت منها وتطلقها ...

لا -إني لا أصدق لابد أن هناك سببا وسببا قويا جعلها تنفر

منك وتكرهك وتحقد عليك كل هذا الحقد وتتسبب في سجنك وفصلك من عملك .

عزت وقد أفحمته أسئلة مدبولي وجعلته تائها عن دنيا الواعين .

ثم جعله مدبولي يحس بضآلة نفسه أمامهم جميعا و أصبح فأرا بعد أن كان أسدا ، وشرد عزت بفكره وأخذ يسترجع مجونه واستهتاره وهو يحدث نفسه وكأنه يرد علي أسئلة مدبولي بينه وبين نفسه لأنه لا يقدر علي الجهر بمكنون نفسه وتعرية نفسه أمامهم جميعا :

– ماذا تريد أن أقول لك يا اسطي مدبولي ؟ تريد أن اكشف لك عن مكنون نفسي ، واكشف الحقيقة وأعري نفسي أمامكم جميعا ، لماذا لا تجعل الطابق مستورا ؟

الناس أسرار كما يقولون يا اسطي مدبولي ...

تريد أن أقول لك إن أشواق زوجتي اكتشفت خيانتي لها ، وممارستي للعبة الحب مع بعض من راكبات الأتوبيس الذي أقوده وأعود لها منهوك القوي فاقد الرجولة ، لدرجة أني لا أقدر علي إعطائها حقها الشرعي كزوج ، وكنت أهرب منها بالنوم أثناء تجهيزها العشاء وتعود المسكينة لتجدني قد رحت في نوم عميق ويتملكها الأرق والقلق وتظل طول الليل بلا نوم تندب سوء حظها وخيبة أملها في وأنا مكوم بجوارها مثل كوم القمامة .

الله معها ويكون في عونها هي لها كل الحق فيما فعلته بي ، أنا أخطأت في حقها كثيرا ، وكانت دائما كما يسيح الزبد وتتبخر كالماء إلي السماء متسامحة و تطلب مني البعد عن الحرام من أجل أن يظل حبها الكبيرباقيا و لا يهدم البيت علي رأس من فيه وتكون ابنتنا صفاء هي الضحية، وأنا كنت دائما أعدها بالاستقامة ولكن كانت وعودي لها تسيح دائما كما تسيح الزبد وتبخر كالماء إلي السماء. وأعود إلي سيرتي الأولي ومصاحبة الشيطان الذي كان يسير في ركابي ، يحرضني علي الفساد ويوسوس لي قائلاً، انظر إلي هذه السيقان و هذه القدم الصغيريتان إنهما أجمل ساقين وأجمل قدمين لامرأة علي وجه البسيطة وصدر هذه احلي واجمل ما رأت عيني إن صدرها يغري أي رجل ينظر إليها رغم إرادته ويسيل لعابه.

به نهدان كرمانتين كبيرتين لا يوجد أطيب ولا أحلي ولا أشهي منهما .

وواضح من بروزهما وصلابتهما بأن لم تمسهما يد عابثة بعد وهما ناضجان علي القطف ..

وتلك يا وعدي عليها ، يا وعدي عليها وهي تسير وتتمخطر كغزال شارد من الصياد يا سلام عليها إنها تهوس توصل كل من ينظر إليها إلي الجنون .

كل هذا وأشواق متحملة وصابرة ضربت بكل مشاعرها عرض الحائط ، ليس لها عندي حقوق جنسية ، وأصبحت في البيت مثلها مثل أي قطعة أثاث أصبحت شماعة أعلق عليها تعبي وارهاقي بعد ممارستي الحب مع الأخريات بعد عودتي إلي البيت منهوك القوي .

الحقيقة أن أشواق قد تحملت الكثير وتعذبت كثيرا من أجل حبها الكبير لي ، حبها الذي لا أستحقه .

كانت تحبني حبا يفوق حب ليلي لقيس كما قلت تماما يا أسطي مدبولي .

وهناك شيء آخر قد نسيته يا أسطي مدبولي نسيت أن أشواق قد تزوجتني بغير رغبة أهلها وضحت بأهلها من أجلي كان هذا هو السبب الثاني بعد حبها الكبير لي الذي جعلها تصبر وتتحمل معي .

ولكن كما يقولون للصبر حدود وهي قد صبرت حتي فرغ صبرها و طار عقلها في ليلة مظلمة كالحة السواد كانت فيها قد اتفقت معي علي أن تقضيها عند ابنة خالتها ، وفي أثناء نومها جاءها إحساس داخلي بعد منتصف الليل أوحي إليها بأني أخونها مع إحدي راكبات الأتوبيس في شقتنا ... أشواق إنسانة شفافة داخلها أبيض مثل زهرة الفل وزهرة الياسمين ، لذلك .. كان الله

سبحانه وتعالي ينير لها دائما الطريق وينير لها بصيرتها ..
عندما جاءها هذا الاحساس تركت بيت ابنة خالتها وجاءت إلي شقتنا وفتحت باب الشقة في هدوء تام .
كما فتحت باب غرفة النوم التي رأنت نورها مضاء وبها حركة غير عادية ، بنفس هدوئها ودون أن تحدث أي صوت دخلت الغرفة ، وبعد دخولها الغرفة أفزعها منظر كانت تود ألا تراه أبدا في حياتها .
رأتني وأنا أمارس الجنس مع أعز صديقة لها ، وهي سيدة متزوجة .
لم تكن تتوقع أبدا أن تراني في هذا الوضع المخجل المشين مع أعز صديقة لها ، كانت صدمة شديدة لها جعلتها تصرخ فينا صرخة مدوية ارتعشت لها اجسادنا وقالت لي في عصبية وانفعال شديد:
- آه يافاجر يا زير النساء يا نذل يا نجس وصلت بك الوقاحة إلي أن تخونني مع من كنت أعتبرها أعز صديقة لي أخرجا بره يا كلاب أخرجا من هنا حالا . حصلت يا كلب . هنا .. وفي غرفة نومي وفي فراشي ومع من؟ مع التي آمنتها علي دخول بيتي الخيانة في دمكما انتما الاثنان ، اخرجا قبل أن أصرخ وأجمع لكما كل إنسان علي وجه هذه الأرض لكي يراكما وأنتما في

هذا الوضع القذر إنه شيء مقزز ويثير الاشمئزاز هيا اخرجا بره .. بره .. بره

وفي هذه اللحظة ارتخت كل أعصابي وفقدت رغبتي من صديقتها وبرد جسدي وأصبح أبرد من الثلج نفسه وكان كل همي أن اسكتها حتي لا تسمع الجيران صوتها ، ضربتها علي أم رأسها بأقرب شيء وصلت إليه يدي فأغمي عليها وحمدت الله علي أن الجيران لم ينتبهوا إلي صوتها وصراخها ..

وعاد للمكان هدوءه ولملمت صديقتها ملابسها المبعثرة هنا وهناك وارتدتها في سرعة مذهلة لم يتصورها عقل ، ونفدت بجلدها من غير أن يشعر بها أحد ، وأثناء اغماءتها حدثت نفسي بما جال في خاطري وقلت لها :

تصورت إنني سأحبها علي مر الأيام و لكني لم أحبها ، لم أحبها قبل الزواج ولا بعده ، إن حب أشواق لي كان صادقا كالشمس مشرقا ، بل إنه لا يزال يجري في عروقها مجري الدماء رغم بشاعة ما حدث وهذه هي قمة المأساة التي أوقعتني بين شقي الرحي نزيف قلبها وجرح كرامتها ! آه لو انتزعتها من أعماقها لكن ما دار بيني وبينها في أشهر الأحلام الوردية ، ترك بصماته غائرة علي نظرتها إلي الكون كله ، وهذا جعلها تحبني بإخلاص .

إنها لم تخدعني ، بل أنا الذي خدعتها ، هي كانت تتمني قضاء العمر كله معي ! ولكن خيانتي لها وبالأخص خيانة هذه الليلة المشئومة هي التي أدت إلي هذه الكارثة ، لا شك ولابد و أن حدث لها شرخ كبير من الصعب، إن لم يكن من المستحيل أن يلتئم ! لكن كيف أعود إليها مرة أخري بعد أن وقع ما وقع ؟! وكيف أواجهها ؟! وما النتيجة الايجابية التي سوف أخرج بها بعد هذه المواجهة ؟! لقد تطور الموقف كله تطورا مفاجئا عجزت عن تفاديه أو تجنبه ...آلاف الاسئلة المتراقصة فرضت نفسها في سخرية مريرة ولا أجد عنها إجابة واحدة تخرجني من هذا المأزق .

أين إرادتي الحديدية ؟! أين خبرتي في تسيير الأمور وإيجاد الحلول لكل المشاكل التي تصادفني؟! هل يمكن أن تصيبني محنة مثل هذه بعجز يهدد مستقبلي كله ؟! ليس عزت هو الذي يقف عاجزا أمام العجز نفسه ! لكن كيف أتجاوز ما وقع الليلة وكأنه لم يقع ؟!هل يمكن أن أمحو من ذهن اشواق ما وقع في هذه الليلة الكالحةالظلام ونبدأ معا حياة جديدة ؟! إن هذا الأمر لا يمكن أن يحل وسط اضطرابات الأعصاب وارتفاع ضغط الدم ، بل لابد من استعراض تفاصيل ما وقع في ضوء العقل الهادئ المتأني ، ففي وسط اضطرابات الأعصاب والأفكار الهوجاء

تختلف الأحجام الحقيقية للأشياء وتتداخل الخطوط والألوان ، وتتلاشي المعالم التي تحدد المسار الطبيعي والمنطقي للأمور .

وبعد أن أفاقت أشواق من عناء اغماءتها قالت لي في هدوءتام:

-أرجوك أن تطلقني دون شوشرة وضجة

يهمني أن أحافظ علي سمعتك وشكلك أمام الناس ..

وأنا لم أفعل هذا من أجلك أبدا .. بل أفعله من أجلي ومن أجل ابنتي صفاء ..

وأنا قد تمسكت بها ووعدتها بالتوبة . وأفهمتها بأن هذا الحادث لن يتكرر مرة أخري ..

وأنه أفاقني وأعاد إليّ صوابي ..

وما زال عزت في شروده وحديثه مع نفسه

– ولكنها فقدت الثقة بي لأني سبق وأن وعدتها كثيرا ولم أف بوعودي لها .. وهي لها كل الحق في عدم تصديقي ..

وأصبحت أنا وأشواق غريبين يعيشان تحت سقف واحد ، وليس بيننا ما بين الأزواج ..

وظلت أشواق بعيدة عني في انتظار الطلاق .

في نفس الوقت أنا كنت قد أفقت فعلا من غفوتي ، ونويت أن استقيم ، وأحببت أشواق من كل قلبي بعد أن رأيتها حقيقة و كأني آراها لأول مرة ، رأيت جمالها الآخاذ الذي يسلب من أي

إنسان روحه وعقله من أول وهلة ، وندمت علي ما فعلت معها واهمالها ..

وحاسبت نفسي حسابا عسيرا، كيف لا أري هذا الجمال من قبل ، إنها جميلةالجميلات ، إنها أجمل من كل النساء اللائي عرفتهن ومارست معهن الجنس .. بما فيهن صديقتها ..

حقيقة إن الشيطان يزين للإنسان الحرام ، ويجعل من المرأة الدميمة أجمل الجميلات ..

إنني أحببت أشواق حبا يفوق حب قيس لليلي بعد فوات الأوان ، وأدركت بأن ما كان بيني وبينها من قبل ليس حبا ، بل كان امتلاكا أو عشرة أو أي شيء غير الحب..

عجبت إلي أمرهذه الدنيا، أحب أشواق حبا جنونيا،في الوقت الذي تكرهني فيه هي و تبغضني بقدر ما أحبها الآن .

واتمسك بها في الوقت الذي تريدأن تتركني

وخرج عزت من شروده وحديثه مع نفسه علي صوت الأسطي مدبولي :

- إلي أين ذهبت وتركتنا يا أسطي عزت ؟

قال عزت بعد أن تنبه :

- لا أبدا ، أنا لم أترككم ، أنا معكم

******

وذات يوم حدث عزت أشواق مستعطفا إياها ، وكان يحدوه الأمل في أن تصفح عنه وتكف عن عنادها وصدها له وحرمانه منها قائلا :

– إلي متي نعيش غريبين . إنني أحس بظلمة وبرودة شديدتين من هجرك و صدك لي وحرماني منك ونحن تحت سقف واحد ...
أتعلمين كم عانيت من هجرك وصدك لي؟

وقالت أشواق في تهكم وسخرية :

–تعلم أنت كم عانيت من خيانتك لي وإهمالي و تعذيبي طول السنين التي قضيتها معك .. ؟

قال :

–لقد تبت وندمت علي ما فعلت والذنب في ذلك ليس ذنبي .

–ذنب من إذن ؟

قال :

– ذنب الأقدار التي شاءت أن يكون الإنسان أضعف قوة من الشيطان ..

قالت :

– هذا قول ضعاف النفوس ، بيد الإنسان أن يكون أكثر قوة من الشيطان ..

قال :

- كيف ؟

قالت :

- يقاومه بقوة إيمانه بالله عز وجل فينتصر عليه ويهزمه ..

قال عزت في ندم شديد .:

- عفا الله عما سلف يا أشواق ونفتح من الآن صفحة جديدة .

قالت في اصرار وعناد شديد :

- لا تتعب نفسك ولا تحاول معي ، فإنني لن أثق فيك بعد الآن ، ولن أغفرلك خيانتي ما حييت .

قال عزت :

- لابد وأن تعلمي بأنني أحبك الآن أكثر من ذي قبل ، أحبك بصدق وإخلاص وإذا تركتيني سوف يعذبني حبك هذا إلي الأبد ..ألا رحمة بي يا أشواق ..؟

أصغت إليه أشواق ثم نظرت له بنظرة تملأها اللذة والانتصار ، حتي إذا كف عن الكلام وهو متعب لاهث ألانفاس قالت له :

- عذابك هذا هو غاية ما ترمي إليه نفسي .. إنني الآن نشوي ، فرحة وفي قمة سعادتي إنني ملتذذة غاية اللذة وأنا أراك في هذا العذاب، ما أحلي لذة الانتقام و نشوة الانتصار فصاح فيهاعزت قائلا :

- صدقيني إنني لم أشعرقط بأنني أحبك كما أحبك الآن .

قالت :

- وإنني لم أشعر قط بأنني أكرهك وابغضك كما اكرهك وأبغضك الآن

قال مستعطفا اياها :

- ولكني أحبك

قالت:

وأنا لا أحبك لاحب يعلو عندي علي حب الانتقام منك .

قال مستطردا :

- إنك لا تعرفين الرحمة ، إنك أشد قسوة من الحجارة ، إنك بلا قلب .

قالت في تهكم وسخرية :

- إنك لن تؤثر في بكلامك هذا ، لأن نظرتي فيك لن تتغير ، فكف عن هذا الهراء وعن هذا الكلام الذي لا يفيد . واستطرد عزت قائلا :

- إن الله يغفر الذنوب جميعا ويعفو عن السيئات وأنت لا تغفرين ؟ هل أهون عليك يا أشواق ؟ أين ذهب حبك لي ؟ إنك كنت تحبينني حبا جنونيا . أين ذهب هذا الحب ؟ وماذا حدث له ؟ استحلفك بكل غال عندك أن ترحمي لحظة ضعفي ، واحساسي بالذنب لخيانتك وتصفحي عني وتسامحيني حتي ارتاح من هذا

العذاب ..أشفقي لحالي يا اشواق إنني اتعذب. وبذل عزت أقصي ما في جهده مع اشواق لكي تصفح عنه وتسامحه ولكنها تمسكت برأيها واصرارها علي الطلاق ، بالرغم من أنه أفهمها بأنه قد تغير فعلا وقد لمست هي بنفسها هذا التغيير ، حيث رأت استقامته بنفسها ، ورأته وهو يصلي الفرائض الخمس يوميا .

ويذهب إلي عمله ويعود إلي البيت بعد الانتهاء منه مباشرة دون أي تأخير ملهوفا عليها ، ولكنها كانت تنفر منه وتصده دائما مستمرة في هجرها له وتقول له :

– إنك جرحتني وجرحت كبريائي و جرحت قلبي جرحا كبيرا سيظل ينزف طول العمر ، إن جرح قلبي لن يلتئم أبدا ..

وحتي لو التأم في يوم من الأيام ، لن يعود كما كان سليما معافا ، إن قلبي مثل الطبق الصيني الذي ينكسر ، هل من الممكن اصلاحه بعد كسره ؟ اعرف أنك ستقول لي يمكن اصلاحه و أنا أقول لك لا ، مهما تفننوا في لحامه واصلاحه لا يمكن له أن يعود لأصله ، سيظل الشرخ كما هو ..

واستمرت محاولات عزت معها حيث قال لها ذات يوم :

– نفتح صفحة جديدة وأنا وأنت أولاد اليوم .. ونبدأ حياتنا من جديد وسوف أعوضك عن اهمالي لك ، وسأكون لك وحدك لا

تشاركك في أية إنسانة علي وجه البصيرة مهما كانت هذه الانسانة ، وسوف أكون لك زوجا مثاليا بكل ما تحمل هذه الكلمة ، ولكنها رفضت كل محاولاته ،إنها لا تصدقه ولا تثق فيه بعد خيانتها في شقتها و أصبح عزت في حيرة من أمرها ، كيف يرجع لها ثقتها به لتصدقه .ورفض عزت أن يطلقها لحبه الشديد لها والذي ولد متأخرا بعدو فوات الأوان . ولكنها في عناد شديد أصرت علي الطلاق هو في عناد أكثر من عنادها رفض الطلاق .

وتغير حالها وأصبحت تتصرف معه تصرفات تؤكد أنها غير طبيعية وكأنها مسها مس من الجنون فقدت علي أثره السيطرة علي نفسها وأصبحت كاللبؤة الغضبي والثور الهائج تثور لأتفه الأسباب و تفلت منها أعصابها رغم أن عزت كان يحسدها علي قوة و هدوء أعصابها التي هي مثل الحديد ..

وبالرغم من كل ما كانت تفعله معه كان دائما يلتمس لها العذر ، نعم كان يلتمس لها العذر ، بل كل العذر لأنه كثيرا ما جرح شعورها وكبرياءها وكانت تتحمله صابرة وتغفر له كل تصرفاته السيئة .

وأهملها كثيرا وكأنها ليست زوجة له في البيت ..

وكانت راضية بحياتها معه حتي الليلة المشئومة إياها ، التي

رأته فيها وهو يمارس الجنس مع صديقتها في فراشها ، من ليلتها طار عقلها وأخذت تتصرف معه تصرفات جنونية لكي ترغمه علي طلاقها :

وقد طلقها وهو يحبها أكثر مما كانت هي تحبه ...

وسيعذبه حبه لها طول العمر .

أشواق كانت جوهرة ثمينة ومن معدن طيب ،

لم يعرف عزت قيمتها الحقيقية إلا بعد فوات الأوان .. بعد أن طلقها .

******

إن خيانة عزت لأشواق تركت في نفسها أثرا سيئا جدا، لذلك أخذت تنتقم منه بلا رحمة ولا شفقة ، وهي تتلذذ بهذا الانتقام وكل يوم كانت تؤكد تفوقها وانتصارها عليه ،..

كانت واقعة الخيانة الأخيرة التي خانها فيها مع صديقتها ، تمد ثورتها بوقود جديد الانتقام منه .

إن انتقام أشواق لعزت لم يتوقف عند حد، لم تكتف بسجنه بتهمة تبديد عفشها ومنقولاتها وفصله من عمله ، بل استمرت في الحصول علي أحكام قضائية بالنفقة لها و لابنتها صفاء و الأحكام كانت دائمابالدفع أو الحبس وهو ليس معه شيء ليدفعه ، خصوصا بعد أن فصل من عمله وخسر وظيفته كسائق بالنقل

العـام .. لذلك ترك القـاهرة هـربا منهـا ومن أحكامـهـا ، وهـام علي وجهه من بلد إلي بلد لا يستقر له حال .

لكنه أيقن الآن أن خـداع الآخـرين ليس سـوي الوجـه الآخـر لاحترام الذات الضـائع (كيف يمكن أن يحـترم ذاته وهو واثق أن عادته السيئة في خيانته لزوجته وللرجال الذين كان يخونهم في أعراضـهم مع نسائهم اللائي كان يمارس معهن لعبة الحب والجنس ، رأس ماله ؟

لكن ذاته كانت قـد ضـاعت منذ تلك الليلة الرهيبـة ، الكئيـبـة الكالحة الظلام التي رأته فيها زوجته وهـو يخونـها مع أعز صديقة لها ، في شقتها وعلي فراشـها، وظل يبحث عن عمل في شركات القطاع العام والمصالح الحكومية دون جدوي .

إن تهمة تبديد عفش أشواق وقفت حجر عثرة في طريق حصول عـزت علي أي عـمل في شـركـات القطاع العـام والمصـالح الحكومية،لأنها تهمة مخلة بالشرف .ولم يبق أمامه سوي البحث في القطاع الخاص.وأخذ يبحث له عن عمل في القطاع الخاص كل يوم دون جدوي ، ثم يعود الي غرفته التي اتخذها أخيراسكنا له فوق سطح أحد المنازل بحي الأنفوشي بالاسكندرية بعد أن استـقر به المقام. هناك في آخر النهار مجهد النفس والجسد و يلقي بجسده المكدود علي الفراش ، المكون من حصـيرة ينام عليـها وبطانيـة

للغطاء ويتوسد حذاءه.لقد عاني عزت كثيرا من البطالة وعاش حياة الضياع والصعلكة بكل أبعادهما ، واضطر في النهاية إلي العمل كسائس في أحد الجراجات بعد أن عضه الجوع ونفذ آخر قرش كان معه .

****

كانت أشواق قد استأجرت شقة مفروشة في نفس الحي الشعبي الذي كانت تقيم فيه مع عزت طليقها لتعيش فيها هي وابنتها صفاء ولتكون بجوار محاميها .

وتعبت أشواق ماديا وانكسر عليها إيجار الشقة المفروشة لعدة شهور لأنه مهما كان دخلها من الوظيفة بالشركة الاستثمارية التي تعمل بها لايكفي لمتطلبات حياتها وإيجار المفروش ، هذا بالاضافة إلي المبالغ التي تصرفها علي نفسها لتحافظ علي مظهرها ومستواها.. كما أن أشواق وجدت أن اقامتهاوحدها ستثير حولها الشكوك والأقاويل ، خصوصا وأنها مطلقة والمطلقات عادة ما تثار حولهن الشكوك والأقاويل وتلوك سمعتهن الألسن، فكل لفتة من أشواق ستكون محسوبة عليها ، الناس لن ترحمها ، لكل هذا .قررت أشواق أن تعود للاقامة مع والدها خاصة وهي تعرف طيبة قلبه وأنه لن يتخلي عنها كما قال لها في ساعة غضبه ...

وذهبت إلي والدها تستسمحه في العودة إلي منزل الأسرة ، واعترفت له بأنها قد اساءت الاختيار عندما اختارت عزت شريكا لحياتها ، وأنه كان له الحق بل كل الحق هو وأمها وأخوها في معارضتهم في زواجها من عزت .

وكان الأب متشددا معها ورفض عودتها إلي البيت مرة أخري وقالت له وهي تبكي :

– هل يرضيك يا أبي أن تلوك الناس بألسنتهم سيرتي و سمعتي وشرفي ؟

خصوصا بعد أن أصبحت وحيدة بلا زوج يحميني من ألسنتهم ..

ولكن الأب كان صلبا جامدا لا يلين أبدا ، فقد تمسك برأيه في عدم عودتها إلي بيته وقال لها :

– عليك أن تتحملي نتيجة طيشك وتهورك واندفاعك ، وسوء اختيارك ..

قالت الأم مستعطفة الأب وهي تبكي .

– عمر الدماء ما تصبح ماء ياعبد الحميد ، فهي ابنتنا بالرغم مما حدث ،وقد جاءت لك نادمة ،اعترفت بخطئها وسوء اختيارها .

وظل الأب عبد الحميد الهواري علي عناده واصراره بعدم دخولها البيت مرة أخري وبكت أشواق بكاءً مريرا ثم اشتد بكاؤها

ونحيبها وازداد تشنجها حتي فقدت وعيها ، وما أن أفاقت وعاد إليها وعيها وشعرت بما يدور حولها حتي أحست بيد ليست غريبة عنها تمسك بها في حنان بالغ ، تمسك في كفها في لطف تداعبها ، كانت تلك اليد هي يد ابيها ، أبيها الصلب الجامد لقد تفتت الصلب وتبخرت ثورته عن هدوء ووداعة واستسلام ، وأخذ يمازجها قبلاتها ودموعها ويلقي علي سمعها في صوت متهدج عميق :

- أشواق ابنتي الحبيبة لقد أسأت إليك كثيرا حتي كدت أن تضيعي مني ، عودي إليّ يا حبيبتي ،عودي إلي البيت الذي تربيت فيه و أنا من هذه الساعة وكذا أمك وأخوك سنزيح السور الذي أقمناه بيننا وبينك ، ودعينا نودع الماضي اللعين و نطوي صفحته الحالكة لنبدأ حياة جديدة وسنبذل كل ما في وسعنا وجهدنالاسعادك حتي نعوض لك حرمان الماضي ،

ولاحت علي محيا أشواق اشراقة تفاؤل وحب بعد أن لمحت في عيني أبيها حنانا بالغا ، ثم هتفت في صوت لاهف وهي تلقي بنفسها في حضن أبيها :

- يا حبيبي يا بابا .

وفي لمح البصر عانقها أبوها وضمها إلي صدره في اشتياق ضمة حنان وشوق وراحت أشواق هي الأخري تتشبث به

وتحتضنه في اشتياق بالغ وكأنها تريد أن تعوض في حضنه حرمانها منه طوال الأعوام الأربعة التي مضت فيها بعيدة عنه والتي عاشتها في اكتئاب ومرارة وألم شديد ..

كما أنها أحست وهي في حضن أبيها بحنانه البالغ الذي افتقدته في السنين التي مضت – وبحرارة شفتيه علي وجنتيها التي طال شوقه إليهما ، وظل الاثنان في احتضان لا يريد كل منهما أن يفلت من بين ذراعي الآخر – كانا يودان عناقا أبديا لا ينتهي و انحدرت من مآقيهما العبرات ثم صاحت أمها في أبيها صيحة الملهف والمشتاق لاستقبال عزيز لديه قائلة :

– كفي يا عبد الحميد ، كفي يا رجل أهي ابنتك وحدك .؟ ألست أنا أمها مثلما أنت أبوها ؟ لقد فاض بي الشوق اليها ، أريد أن أضمها إلي صدري حتي أرتوي ويشتد عودي الذي ذبل بدونها .

ونزعتها أمها من صدر أبيها وحضنه وضمتها إلي صدرها وحضنها الدافيء وأخذت تقبلها في كل مكان حتي خيل إلي زوجها وابنها أن حدت لها لوثة في عقلها . ثم نزعها منها أخوها بالقوة وضمها الي صدره بالقوة وضمها الي صدره ضمة حب واشتياق وقبلها في جبينها ثم ساد صمت بين الجميع .

كسرت اشواق حاجز الصمت المحيط بهم وقالت لوالدها :

– انك صدمت يا أبي بزواجي من عزت دون ارادتك !! فلم يكن

تعلقك بي خافيا عليّ !!

رأت أشواق أباها في صورة جديدة ، صورة تمنت أن تراها فيه منذ زمن بعيد ، صورة الأب بشخصيته القوية التي تجمع بين الحزم والحنان البالغ ، بين القدرة علي المواجهة والمصارحة ، والقدرة علي الاحتواء والاحتضان في الوقت نفسه ..

وقد وجدت نفسها تنطق بكلمات لم تفكر فيها ولم تستعد لها حيث قالت له :

– أنت لست مخطئا أبدا في حقي يا أبي ، بل أنا التي أخطأت في حقك عندما خرجت عن طوعك وتصرفت كمراهقة بلهاء وتزوجت عزت دون ارادتك جريت وراء قلبي وعواطفي ولم أحكم عقلي ..

قال الأب :

– هذا درس لك ولأمثالك ، أرجو أن تكوني قد استفدت منه .. قالت أشواق :

– استفدت يا أبي .. استفدت منه كثيرا ..

تدفقت ينابيع المياه الصافية الباردة في خلجات والد أشواق ونضح علي وجهه الارتياح من كلام أشواق له وقال لها :

– إنني الآن استرديت روحي يا حبيبتي بعودتك لي ، وتأكدت أن الدماء عمرها ما تصبح ماء كما قالت أمك .. وأهلا بك بيننا

لتملئي علينا الدنيا سعادة وبهجة.
وقد سعدت أشواق بسماعها منه هذا الكلام فقد كان وقع كلماته ينبيء بأن تغيرا ما قد وقع وردت عليه قائلة :
-الحمد لله فإنني اشعر الآن بالحياة تسري في عروقي مرة أخري !
ربت والدها علي يدها في حنان بالغ وعيناه تفيض بكل مشاعر الحب وقال لها :
- إننا من هذه اللحظة سنحيطك بالحنان والحب !!
سنكون من الآن فصاعدا في عمل كل ما يريح فؤادك وبالك ..
وتعود أخيرا أشواق الي بيتها الذي كان يضيق بسعادتها وهذا الاثاث الانيق يبدو موحشا كئيبا ، هذا الاثاث هي التي انتقته قطعة قطعة مع والدها قبل زواجها من عزت ..
هذا الدولاب ما زال يفوح بشذا عطر أثوابها وهذه مائدة زينتها وهذه المرآة ..
وتنظر في مرآتها وتحدث نفسها قائلة :
- يا إلهي ، ذلك الوجه الذي يطل علي منها أنا اعرفه ، لكني أكاد انكره ما أسرع ما حفر الشقاء سطوره علي وجهي .
وتلتفت الي صورتها وتحدث نفسها قائلة :
- وهذه الصورة في الاطار المذهب عن يميني ، إنها تتبعني

بنظراتها الساخرة أينما تنقلت في الشقة ، هي صورتي . كم كانت جميلة .

وألقت بنفسها علي مقعد مريح طالما جلست عليه من قبل وهي جالسة مع والدتها يستمعان إلي الراديوحينا ويشاهدان التليفزيون حينا ويقرآن معا احيانا أخري أو تستغرق هي في قراءة كتاب.. علي حين تصنع لها والدتها بيدها شالا صوفيا يقيها برد الشتاء.

******

وأخذت تكبر صفاء شيئا فشيئا وكلما كبرت أدركت غياب والدها عنها بالرغم من أنه تركها صغيرة ، وبالرغم من أنها لم تتذكر ملامحه لكنها كأي طفلة تبحث عن والدها ، وتبحث عن جذورها كشجرة هشة نبتت فوق سطح الأرض بلا جذور ولا أصول ولا فروع .

وكانت الصغيرة صفاء تبكي ذات ليلة كعادتها علي غياب والدها وأمها اشواق تقول لها في حنان وعطف زائد :

نامي يا حبيبتي .. نامي

وأطاعت أمها فمالت برأسها الصغير علي الوسادة في استسلام وقبلتها أمها ، واطفأت المصباح الكهربائي، ثم رقدت بجوارها في هدوء .

كانت بعض أشعة القمر قد تسللت خلال ستائر النافذة لكنها لم

تسقط علي فراشها فتركتهما في ظلام ، ولكن أشواق لم تنم ، كانت تفكر في أشياء كثيرة .

كيف تستطيع صفاء أن تحيا بلاأب ؟ متي تكف عن سؤالها الحائر :

– أين بابا يا ماما ؟

وللحيرة الشديدة لا تنام صفاء ، حتي ولو نامت لا تنام في أحلامها فتستيقظ وسط الليل والقلق يطفو علي شفتيها .

– اين ذهب بابا يا ماما ؟

قالت امها وهي تغالب الشجن في نفسها :

– نامي يا حبيبتي نامي

ومرة تطيعها فتنام ، ومرات كثيرة يأبي الشجن أن يغفو في عينيها..عينيها الزرقاوين كعيني أمها ، فتبقي أمها ساهرة بجوارها محاولة سرد الأقاصيص التي تحبها ولكنها تتململ بعد حين لتسألها :

– متي سيعود بابا يا ماما ؟ هل سيعود غدا ؟

وتضطرأشواق أن تنسج من جديد خيوط اكاذيب أخري غير تلك التي سمعتها منها من قبل ، وما كانت تستطيع أن تصنع لها غير تلك الاكاذيب ، وتلك الحكايات التي تحبها (أحيانا) ولم يكن في مقدور صفاء كذلك أن تدرك أن أمها قد دمرت

واتلفت أعصابها واحترقت من إهمال والدها وخيانته لها ..
وسألتها مرة سؤالا كان حائرا منذ أيام علي شفتيها الصغيرتين :
- لماذا تركنا بابا ؟ لابد أنك ضايقته يوما وتشاجرت معه فذهب ولن يعود ، أليس كذلك ؟
وانفجرت أمها في وجهها تأمرها بالسكوت فانكمشت بركن الحجرة وفي عينيها حيرة ، ودموع ، فندمت أمها ، وحاولت مداعبتها فانزوت خائفة منها ولم تعد البسمة الي الشفتين الصغيرتين .
وبعدت المسافة بينها وبين أمها و خاصمتها لاحديث بينهما إلا عن الأب الغائب وسؤالها الحائر دائما علي لسانها :
- أين ذهب والدها .. ؟ وما السبب في تركه البيت ؟
وتلاحظ حيرتها أمها فتحدث نفسهاوكأنها تحدث ابنتها :
- صدقيني يا طفلتي البريئة إنني لم أكن السبب في تركه للبيت ولم أغضبه و لم أضايقه في يوم من الأيام ولم أتشاجر معه إلا لكي يستقيم من أجلك أنت لكي نربيك معا ، ستعرفين يوما عندما تكبرين أنا كم ضحيت من أجلك وكم عانيت من أجلك ، ولكن دون فائدة .. إنه دمر حياتنا في قسوة وبلا ضمير ثم هرب وتركنا ..

وفي ليلة ليلاء ظلامـهـا دامس عمـيق السـواد ، كانت الصـغيـرة صفاء مسهدة العينين ، لم يطرق النوم جفنيها تفكر في والدها عزت وأسباب تركه لهما ، واضطرت أمها اشواق أن تنسج لها مزيدا من خيوط أكاذيب جديدة غير التي سمعتها منها من قبل عندما سألتها :

-- أين ذهب بابا يا ماما ؟

قالت الأم وهي تغالب ألمها من أجل ابنتها المعذبة :

- إنه سافر سفرا طويلا ..

قالت الصغيرة مستفسرة ..

- إلي أين ؟

قالت الأم :

لا اعلم ..

قالت الصغيرة :

ومتي يعود ؟

قالت الأم : لا أعلم

* حاولت امها أن ترضيها بشتي الطرق ، حيث اخذت في احد الايام حقيبة كبيرة من البيت وملأتها علي آخرها بالحلوي والهدايا واللعب المستوردة من الخارج ..

وفي غرفة صفاء فتحت الأم الحقيبة وأخرجت منها مجموعة كبيرة

من الصناديق الملونة الجذابة ، راحت تفتحها واحدا بعد الآخر لتخرج من كل منها لعبة ثمينة غالية نادرة ، قطط تموء وكلاب تنبح وأسود تزأر وجياد تصهل وطواويس تكاكي ونسانيس وقردة تصيح وتتقافز وتتواثب بين اغصان شجرة صناعية يتم توصيل كل جزء من اجزائها بالذي يليه فوق قاعدتها الثقيلة -جذع وفروع وغصون لتصبح في النهاية شجرة خضراء مورقة كبيرة ثم تفصل هذه الاجزاء عن بعضها البعض لتحفظ ثانية في صندوقها المخصص لحفظها بعد الفراغ من اللعب بها ، وهذه عروس صغيرة لها شعر أصفر كشعرها وعيون زرقاء كعيونها تغمض وتفتح عينيها وشفتيها وتشدو بأعذب أغاني الأطفال وترقص علي أعذب الألحان والموسيقي الهادئة ، وهذا مهرج من مهرجي السيرك يؤدي حركات خطرة علي عود أفقي بين قائمين رأسيين . جهاز يسميه الرياضيون « العقلة »

وعدا هذا وذاك ، عشرات من لعب البنات التي لم تصل إلي ايدي اي بنت حتي لو كانت في مستواها ، كلها تتحرك بالشحنات الكهربائية بداخلها ، وأخرجت اشواق من هذه الحقيبة " جراب الحاوى اشكالا من أنواع الحلوي والشيكولاته الفاخرة والثياب الزاهية الجميلة التي لا حصر لها ،وكانت علي يقين من أنهاستبهرصفاء بكل هذا ،ولكنها-برغم كل هذا -تتقبله بهدوء

وبرود وغريب كسر قلبها وخاطرها .

اللفتة الكريمة الوحيدة التي جبرت خاطر الأم الجريح ، ابتسامة صفاء عندما سمعت صياح نسناس خفيف الدم وهو يقفز من أحد فروع الشجرة الي فرع آخر قريب ، لكن ابتسامتها لم تمكث أكثر من بضع ثوان عادت بعدها إلي وجومها وهمومها وأمضت اشواق بقية اليوم مع طفلتها تداعبها وتلاعبها و كانت صفاء تقتلها بنظراتها الحزينة الكئيبة وردودها الجافة الخالية من الحب والعطف والحنان .

وكل يوم يتجدد الموقف بين اشواق وابنتها وهي تقدم لها اللعب الجميلة والثياب الباهرة الانيقة ، والمجلات المصورة الملونة التي تناسب سنها ، والحلوي الفاخرة والشيكولاته النادرة من اشهر بيوتها في أنحاء العالم ، كل هذا لم يقرب صفاء من امها ، كل هذا لم يجد نفعا في تقريب المسافة بين الطفلة وأمها .

– لماذا كل هذا العناء يا صغيرتي ؟

السؤال وجهته اشواق لابنتها في صوتها المشروخ المهان والدموع تلمع في عينيها ..

ردت عليها صفاء في عناد وجفاء قائلة : – لأنك لا تريدين اخباري عن سبب اختفاء أبي وتركه لنا ، وتشرق الدموع في عينيها أكثر فتخفيها وراءكفيها وتنخرط في نحيب مكتوم وهي

تقول لها :

- قلت لك ألف مرة لا أعرف .

وفي نهاية كلمة لها انفجرت اشواق باكية و بكت بكاء مريرا لعل البكاء يزيح ما جثم علي صدرها من هموم وأحزان فتستريح نفسها ..

وظلت صفاء علي هذا المنوال تسأل أمها عن والدها في إلحاح ، وظلت اشواق تنسج لها خيوط الأكاذيب التي لم تعد تقنعها ولم تعد تصدقها ، وتخفي عليها حقيقة انفصالهما حتي لا تصدمها . وظلت حياتهن هكذا إلي أن شبت الفتاة وأصبحت تقترب من العاشرة من عمرها بمعني أنها أصبحت في سن تحتمل فيه أي خبر يريحها من سؤالها الحائر ..أين أبي ؟ وإلي أين ذهب ؟ ومتي يعود إلخ إلخ

لذلك قالت لها اشواق في آخر مرة سألتها عليه : إنه مات وانها اضطرت ان تخفي عليها هذا الخبر وهي صغيرة حتي لا تصدمها ، واعطتها صورة مشرفة عن والدها عزت .

وكفت صفاء عن سؤالها الحائر عن والدها منذ هذا اليوم ، وهدأت وارتاح بالها وقربت المسافة بينها وبين أمها وعادت لها بحنانها وصفائها وأخذت اشواق تغدق عليها من الهدايا واللعب ومن حبها وحنانها وعطفها لكي تعوضها حب وعطف وحنان الأب

الغـايب الهـارب المفـقـود وفي اليـوم التـالي كـانت الأم اشـواق مع الصغيرة صفـاء في إحدي حجرات البيت وقد ارتديتا ثياب الخروج للنزهـة التي وعدت بهـا اشواق ابنتـهـا صفـاء في حدائق الحـيوان للترفية عنها .

وعندماوعدتها بهذه النزهةاخذت تحدثهاعن الفيل أبوزلومـة وصداقته المعروفـة التي تربطه بأمـثـالهـا من الصـغـار، والزراف بأعناقـهـا الشمـاء العالية ، ولطفها الذي عرف عنها ، فالزراف حيوان أليف وديع طيب برغم ضـخـامته وماقد توحي به هذه الضـخامة ، أحيانا من الخوف والرهبة ، والقردةوالنسانيس وصياحها ولعبها وقفزها ونطها وشغبها وباعينها الذكية البراقة تتوسط وجوهها المعبرة تكاد تخاطب البشر بلغة البشر ، وانشغلت عنها أمها فترة من الوقت أو لحظة من اللحظات لتجهيزحاجياتها التي ستأخذها معها إلي حديقة الحيوان ، واحست الصغيرة بضيق وملل لمرور الوقت عليها بطيئا وأمها لم تنته بعد من تجهيز حاجياتها .

تتـعجل صفـاء أمـها وتحثـها علي الانتهـاء من عملها بسـرعة لتصحبها إلي حيث النزهة التي وعدتها بها ..

وكـانت اشـواق في هـذه اللحظة قـد انتهت من عـملهـا وأقـبلت علي صفـاء بوجه مشرق مبتسم.. فـاستقبلتها الصـغيرةبفرحة شديدة ووجـه يمتلىء بالنشـاط والحـيـوية ، وخـرجتـا من البـيت تلفـهـمـا

سعادةونشوة لاتوصف ..

****

جاءت لاشواق أكثر من فرصة للزواج ولكنها كانت دائما ترفض بحجة أنها وهبت حياتها لابنتها صفاء ، وأنها ستعيش بها ولها ، حتي تتم تعليمها وتوصلها بيدها إلي بيت زوجها ..

في الحقيقة أن اشواق في ظاهرها كانت تأخذ ابنتها صفاء التي لم تتم عامها الثالث سببا لرفض العرسان الذين يتقدمون لها ، و لكن باطنها كان يرفضهم خوفا من أن يوقعها قدرها في انسان علي شاكلة عزت طليقها ، يخونها مثل ما كان عزت يخونها .

إنها أصبحت لا تثق في أي رجل .إن تجربتها مع عزت كانت مريرة ومؤلمة مررت حياتها وآلامها كانت مبرحة للغاية ، لذلك هي لا تريد أن تكرر التجربة وأصبحت هذه التجربة عقدة عندها ، إن كل الرجال في نظرها هم الرجل عزت الخائن ...

ونجوي صديقتها كانت تعلم هذا ، وتعرف السبب الحقيقي لرفضها العرسان ، لأنها كانت قريبة منها ومن قلبها ..

وذات يوم واجهتها نجوي بحقيقة الأمر حيث قالت لها :

– إنك ترفضين العرسان الذين يتقدمون لك يا أشواق ليس من أجل تربية ابنتك صفاء كما تدعين ، ولكنك ترفضينهم خوفا من

تكرار تجربتك مع عزت إني أقرب إنسانة إلي قلبك واعرفك جيدا أكثر مما تعرفين أنت نفسك أليس كذلك ؟

قالت أشواق :

– إن تجربتي مع عزت جعلتني أجزم بأن الرجل شيء معقد .

قالت نجوي

– إنك لم تتعلمي من تجربتك مع عزت شيئا بالمرة ..

قالت أشواق في دهشة

– كيف ؟ ماذا تقولين يا نجوي ؟ لو اعتقدت أنت ذلك تكونين واهمة وخاطئة ، أنا تعلمت من تجربتي معه الكثير و عرفت أن الرجال كلهم خائنون كلهم علي شاكلة عزت كذابون ومخادعون .

قالت نجوي :

– أنا لست معك في هذا الاعتقاد ، فأنت الواهمة والخاطئة في اعتقادك هذا ، ليس كل الرجال مثل عزت إن عزت حالة شاذة بين كل الرجال وتعتبر حالة استثناء أما القاعدة العريضة من الرجال فهي صالحة وغير خائنة ومخادعة وكاذبة ولا يجوز لنا أن نحول حالة الاستثناء الي حالة عامة ، إن تجربتك مع عزت جعلتك تسيئين الظن بكل الرجال ولا تثقين فيهم ..أنا

قالت أشواق مقاطعة نجوي

–إن الرجل شيء يصعب تحديده ، إنه لغز كبير معقد كل التعقيد

وإنه خائن بطبعه .

قالت نجوى :

- إنت خاطئة في هذا الاعتقاد ..

قالت اشواق

- ربما أكون خاطئة وسأظل خاطئة حتي يثبت لي العكس.

*****

أصابت عقدة الرجال اشواق باحباط شديد وانطوت علي نفسها وأصبحت في عزلة عن الناس وعلي وجه الخصوص جنس الرجال كما كانت تسميهم لم تهتم اشواق بضياع سنين عمرها وزهرة شبابها وهو ينطوي يوما بعد يوم بل سنة بعد سنة و هي تحاول في جهد ضعيف واسلوب هزيل أن تقاوم مأساتها تقوقعت علي احزانها وانصهرت في بوتقة الاحزان والهموم غير مبالية بجمالها وشبابها الذي يضيع يوما بعد يوم .

كان هناك الكثير والعديد من المعجبين المبهورين بجمالها وقوامها برجاحة عقلها واتزانها ومقاومتها وصد كل ما هو فضولي من عيون الرجال المبهورين بها .

كم تعجبت واعجبت بكلمات الحب والغزل في عقلها قبل جمال جسدها جمال روحها قبل جسدها ..

كم هي رقيقة شيقة عذبة تجمع بين كل المتضادات المبهرة تعودت

العيون العاشقة لها وهي عالمة واثقة وكل همها أن تحجم كل في حجمه لتصده حتي لا يتجاسر علي غزو قلبها المحصن المقيد في كعبة الحرمان وقدسية المباديء عشرات وعشرات من الرجال لاحقوا هذا العقل الواعي وطاردواهذا الجسد الجميل المثير. وكل همهم التأثير عليها كل منهم بطريقة وبأخري .. صدت .. وصدت قاومت وقاومت بكل ما فيها من قوة ، من جرأة صارمة .

لم تضعف يوما عن مقاومة جنس الرجال واعتبرتهم ألد أعدائها وظلت ترفض الزواج حتي بلغت الخامسة والثلاثين من عمرها وعندما يئس والدها منها ومن رفضها تحدث معها ذات يوم بجدية وحزم شديدين قائلا :

– لابد وأن تتزوجي ، الزواج للمرأة بوجه خاص ، ضرورة لا مفر منها ، فالرجل يستطيع أن يعيش بلا زواج لأن مجتمعنا يغض عينه عن كل تصرفاته وعلاقاته غير الطبيعية ، أماالمرأة الأرملة أو المطلقة ، فكل لفتة محسوبة عليها فتوضع – فورا – تحت مجهر لتبدو أكبرمن حقيقة الوف المرات وألسنة الناس لن ترحمها والمجتمع سيرفضها وسيلفظها بوصفها متمردة علي كل قواعد الحياء والشرف ، بل والدين ..

وظلت رافضة للزواج إلي أن جاءتها صديقتها نجوي في أحد

الأيام بعريس لا تستطيع رفضه ابدا ... فإنه خالها فاضل ... وهو أرمل توفيت زوجته في حادثة سيارة ... ولم تترك له أولاداً حيث إنها كانت لا تنجب ..

وفاضل في حوالي الثالثة والأربعين يعمل محاسبا ملامحه تدل علي السماحة والطيبه .. اشقر البشرة نوشعر أحمر .. وعينين زرقاوين ..

واشواق تعلم من يكون فاضل ؟..هي تعلم تمام العلم أن فاضل رجل فاضل اسم علي مسمي رجل شريف طيب القلب نقي السريرة عطوف حنون نقي عفيف.

وأخبرتها نجوي بأنه سوف يأتي غدا ليطلبها من والدها وانتظرت اشواق وباتت ساهرة الليل في انتظار فاضل وجاء فاضل وطلبها من والدها ، ونظر له والد اشواق يتأمله فوجده في حوالي الخامسة والأربعين من عمره ، وأنه يجمع بين رزانة الشيوخ ، وحيوية ونشاط وتحمس الشباب ويمكن أن يعتبره الأب شابا لحيويته الشديدة ودماء الشباب الحارة المتدفقة في عروقه وجبهته و لم يشأ الأب أن يرتبط بكلمة معه وطلب منه اعطاءه فرصة يستطلع فيها رأي ابنته ، وقال له في شيء من المجاملة :

- إننا لن نجد لابنتنا افضل منك يا استاذ فاضل فنحن نعرفك حق المعرفة فإنك رجل محترم وفاضل بكل ما تحمل هذه الكلمة

من معني،كما تربطنا بك وباهلك جيرة منذ خمسة وثلاثين سنة.
وفاضل بجانب مركزه الاجتماعي العالي فهو صاحب مكتب محاسبة ودخله المحترم الذي يعتبره والد اشواق من الدخول العالية يبدو بالغ الرقة عالي التهذيب خفيض الصوت رفيع السلوك انيقا اناقة عالية ، وهو الي جانب كل هذا واضح وضوح الشمس ، وأنه واسع الاطلاع في مختلف فروع المعرفة في تواضع العارف بقيمته .

وقد أجل الأب رأيه ليمنح ابنته فرصة الانفراد بفاضل ليتاح لها أن تكون حكما اقرب الي الصحة عن حقيقة من سيصبح زوجا لها ، فهيأ لها هذه الفرصة فانفردت بهذا الخاطب في « صالون » الشقة بعد أن فرغا من تناول الشاي والحلوي مع الأب والأم وأخيها ثروت، وأثناء انفراد اشواق به تحدثا في أمور شتي وفي النهاية سألته عن موقف صفاء ابنتها بعد زواجها منه ، إنه قال لها بالحرف الواحد :

إن ابنتها صفاء ستكون في عينيه لأن أمها سيكون مكانها حبة القلب ، وأن صفاء ستنشأ في حضنه منذ طفولتها الباكرة فتشب علي أنه والدها ،وأنه لن يدخر وسعا لاسعادها واسعاد ابنتها ، فوجودها بينهما سيكون خيرا وبركة وهناء وأنسا وزينة الدنيا بكل ماجمعت وحوت وقد ارتاحت اشواق لحديثه هذا ،

واطمأنت علي مصير ومستقبل ابنتها .
سألها والدها رأيها في فاضل وقد طمأنه حديثها عنه فقد أثار من تقدم لها اعجابها واحترامها بعقليته وتناوله ادق واعقد أمور الحياة بمثل هذا الأفق الواسع الرحيب فأسرع يقول لها :
- هذا الرجل هو أنسب الازواج لك يا اشواق ، ولست أري فيه عيبا واحدا ، فضلا علي ذلك أنه جارنا منذ زمن بعيد ولم نسمع عنه ما يشين سلوكه وأخلاقه ، فهو فاضل اسم علي مسمي.. و يزيد علي هذا أنه خال صديقتك الوحيدة نجوي .
قبلت اشواق فاضل زوجا لها دون تردد وحمدت الله وشكرته علي أنه عوض صبرها خيرا بفاضل كان فاضل من قبل معجبا باشواق وكان يتمني الزواج منها لحسن أخلاقها وأدبها و لما حانت الفرصة تقدم لها .. لماذا لا يتقدم لها ؟ أليست هي المرأة التي يريدها لنفسه ؟
أليست هي المرأة التي تحقق أحلامه ؟
وذات يوم عادت اشواق إلي بيتها بعد لقائها بفاضل في نزهة بريئة في حديقة الأورمان ذات الخضرة والمناظر الطبيعية الخلابة والهدوء الذي يبعث الراحة في النفوس منشرحة الصدر نشوانه ، وسعيده لا يسعها العالم من فرط نشوتها وسعادتها .
دخلت غرفتها وهي تقفز في فرحة شديدة وقلبها يقفز من مكانه

معـهـا ويرقص فـرحـا وطربا ، نشـطة بنشـاط غـيـر عـادي ، لقـد انتفضت الدماء في عروقها حارة ، إن فاضل أعاد لها حيويتها ونشاطها ، إنها ترقص فرحا وطربا من فرط نشوتها وسعادتها وتلف حـول نفسـهـا كـالفـراشـة ، وتظل تلف وتلف وتلف إلي أن أصابها الجهد والتعب وفقدت توازنها وسقطت علي الأرض مغشيا عليها وبعد أن افاقت لنفسها ظنت أنها كبرت في السن و ضـعف قلبها و كان يجب ألا تجهد نفسـهـا ، لذلك أخذت تخلع ثيابها حتي أصبحت شبه عارية وجلست أمام مراتها وقربت وجهها من المراة حتي كادت تلصقه بها ، وشدت بأصبعها جفن عينيها إلي أسفل لترى اللون الأحمر داخل الجفن..لون الشباب فتطمئن الي شبابها ، وأخرجت لسانها لتري فيه أيضا اللون الأحمر لون الصحة والعافية فتزداد اطمئنانا الي شبابها ، ثم ابعدت وجهها عن المرآة ونظرت إلي وجهها من بعيد إنه وجه جميل .. جميل جدا وجذاب ..عيناها واسعتان أنفها دقيق جدا ، وشفتاها ممطوطتان ومكتنزتان كحبةالنبق وكأنهما خلقتا وفوقـهما دعوة..وأسنانها بيضاء مثل اللؤلؤ وتزيد عنه جمالا ووجنتاها مشدودتان مسحوبتان نحيلتان نحولا طبيعيا،كأنما وجنتا شابة أرقها الحب ثم وقفت أمام المرآة لتري قوامـها – إنها ليست طويلة القوام إنها أقرب إلي القصر واللاتي يملن إلي القصر يحتفظن أطول الوقت مدة بشبابهن

، كان الشباب يعجز عن أن يندفع في عروق الطويلات ، ولكنه يستقر في عروق القصيرات.. إن كل صاحباتها يحسدنها علي قوامها ، وأخذت تستدير أمام المرآة وهي تنظر إلي كل قطعة من جسدها ، لا ترهل في أي مكان لا شيء ساقط أو مدلي ، إنه جسد مشدود ووضعت كفيها تحت نهديها ورفعتهما إلي أعلي صدرها، وعادت تتعاجب أمام المرآة إنها تبدو هكذا كفتاة في السادسة عشرة ، ما أبعد المسافة بين عمر السادسة عشرة وعمر الخامسة والثلاثين ، وما أقربها.إن كل يوم من عمرها يبدو كأنه الأمس ولكن الأمس يبدو بعيدا ،إن الأمس ذكري والذكريات تلحق بعضها ببعض الذكري التي مضي عليها عشر سنوات كالذكري التي مضي عليها عشر ساعات .. كلها ذكريات ..أشياء مضت ولن تعود ..وهي لا تريد أن تعيش فيما مضي .. لا تريد أن تعيش في الذكريات ، إن عمرها لا يزال يتسع لأشياء جديدة ، لعواطف جديدة وتنبهت إلي نفسها وهي لا تزال واقفة أمام المرآة واسقطت نهديها فوق صدرها وأمسكت بالمشط ، واستدارت للمرآة ، وأخذت تمشط شعرها بعصبية كأنها تسحب ظنها بكبر سنها .

وفي اليوم التالي خرجت مع فاضل للتريض والتنزه ، وللتخطيط لعش الزوجية السعيد الذي سيجمعهما ليحققا فيه أحلامهما

الوردية .

وتعددت اللقاءات بينهما ..

كان أشواق وهي معه لا تحس بالوقت وهو يمضي كسرعة البرق ..

كانت لا تدري في كل لقاء بالوقت الذي تقضيه معه إذا كانت لحظة أو أكثر أو ساعة من العمر أو العمر كله .

وانتهت مراسم زواج أشواق وفاضل وعوض فاضل أشواق سنين الحرمان التي عاشتها مع عزت ، كان يغدق عليها الكثير من ماله ويرويها بالكثير من حبه وحنانه وعطفه ويعطيها حقوقها الزوجية كاملة التي كانت في عطش إليها من حرمانها إياها أيام أن كانت مع عزت ..

وكان يعمل فاضل كل جهده لادخال السرور والبهجة علي نفسها والتخفيف عنها كلما أحست بألم بسيط أو مرض عضال ..

وكانت أشواق تجد نفسها رغما عنها تفكر في حياتها مع عزت التي مرت كئيبة وحزينة وسبب لها الكثير من الآلام ، كما كانت تتذكر اهماله لها وحرمانها منه و عدم اعطائها حقوقهاالشرعية وخيانته لها مع بعض راكبات الاتوبيس الذي يقوده ثم مع من كانت تعتبرها أعز وأخلص صديقة لها .

إنه جرح كبرياءها بجرح غائر لا يلتئم أبدا ، وأهان كرامتها

ومرغ بها الأرض ، لتقارن بين إخلاص فاضل لها وغدر عزت وخيانته لها ، وأفاقت أشواق من شرودها وتفكيرها العميق وتمنت بينها وبين نفسها أن تنسي الأيام والسنين السوداء التي عاشتها مع عزت إنها لم تتذكر شيئا حلوا لكي تتذكره به ، وبعد هذه المقارنة تذكرت كلمات صديقتها نجوي التي كانت تري الأول وهو عزت إنه حالة شاذة بين الرجال وحالة استثناء ، وإن الثاني وهو فاضل من القاعدة العريضة من الرجال الصالحين ، الصادقين في حبهم ، واخلاصهم لمن يحبون ، لقد آمنت بكل كلمة قالتها لها صديقتها نجوي في هذا الموضوع وادركت أنها كانت خاطئة عندما عارضتها وقالت لها : ليس كل الرجال مثل عزت : لقد آمنت بكل كلمة قالتها بعد زواجها من فاضل وأدركت الخبيث من الطيب، شتان بين السماء والأرض ، لا يمكن أن نسوي بين عزت الفاجر نجس الذيل المخادع .. الكاذب .. الخائن .. وبين فاضل الرجل الصالح الصادق الطاهر الذيل والسريرة الرجل الذي يحترم نفسه أولا لكي يحترمه الاخرون ، ثم يحترم بيته وزوجته وأولاده وإعطاء كل ذي حق حقه بما يرضي الله ورسوله .

******

وعاشت اشواق مع فاضل حياة سعيدة مترعة بالغبطة والسرور

هي وابنتها صفاء التي كان لها عوضا عن والدها عزت .

وكانت اشواق تغتبط وتعلو وجهها فرحة شديدة عندما تجده يحنو علي ابنتها صفاء ابنة العاشرة من عمرها ويعاملها كابنة له.

ظلت اشواق بعد زواجها من فاضل تتمني علي الله ان يرزقها بولد تسميه وائل يصبح أخا وصديقا لابنتها يشاركها لعبها وضحكاتها ومسراتها وطفولتها النقية وبعد ثلاثة شهور من الانتظار والترقب أراد الله لها ما تمنته عليه واذ بها تنتظر المولود المرتقب بعد نحو سبعة اشهر أو أكثر بقليل.

تغيرت الدنيا في عينيها وفي عقلها وفي تفكيرها وفي وجدانها بصفة عامة إنها تنتظر مولودا جديدا وراحت تصلي لله ان يكون ولدا وأن يكون أخا لصفاء - تسميه وائل . فهي تحب هذا الاسم زوجها فاضل أيضا كان سعيدا متفائلا وهداه إحساسه إلي أن الله سيرزقه ولدا ، وأفصح لزوجته عن حقيقة مشاعره فابتسمت ورفعت كفيها نحو السماء وهي تبتهل داعية :

- يا رب .. ولد يا رب ، وسأسميه وائل ، وهذا نذر علي وراحت تعد ثياب المولود الجديدثياب ولد ، فقد هداها إحساسها - كما هدي زوجها إحساسه إلي أنها ستلد ولدا فكانت تجلس الي ابنتها صفاء بالساعات لتحدثها عن أخيها المنتظر .

وكيف أنها-اي صفاء ستفرح به كثيرا وأنها -أي الأم -ستتركها

تحمله تتقبله وتلاعبه ، بل وتطعمه عندما يكبر قليلا ، ويستطيع أن يأكل بعد أن يتخطي مرحلة الرضاع . الأسرة بأفرادها الثلاثة -الزوج والزوجة وابنتها - كانوا يتابعون عملية العد التنازلي التي بدأوها منذ أعلن الطبيب أن الأم في نهاية الشهر الثاني- وبعض أسابيع من شهور الحمل . وصفاء - الابنة قطة صغيرة في نحو العاشرة من عمرها .

اجتمعت الشمس والورود والنسمة والبحيرة صفاءها فجمعت صفاء في كيانها الصغير الجميل كل هذا الحسن والطهر والنقاء والجمال.

ولصفاء قطة جميلة اسمها مشمشة ،لا تقل جمالا في دنيا القطط عند سيدتها في دنيا الانسان.

مشمشة سوداء لامعه كقطعة من الفراء النادرالثمين .

شعرها حرير غزيز جميل ، تتهادي في مشيتها كأنها فتاة جميلة تعرف أنها جميلة منتصبة الذيل حتي ليكون هذا الذيل مع مظهرها زاوية قائمة ومع كل خطوة تخطوها يروح ذيلها هذا يمينا ويسارا في حركة بطيئة كأنه بندول ساعة ثمينة نادرة في أحد قصور الأمراء والملوك .

وكانت جميلة الوجه مستديرة متناسبة الأذنين عسلية العينين جمعت دلال وجمال وخفة ورقة جموع الحيوان الأليف .

ومشمشة تلقي من سيدتها الصغيرة نفس الحب والتدليل والرعاية التي تلقاها هذه السيدة الصغيرة من أمها وزوج أمها ، فهي تقدم لها الطعام بيدها وهي تمشط لها شعرها العزير الجميل ثم تنثر فوقه بعض قطرات من العطر وهي تعقد حول عنقها شريطا من الحرير الأبيض الناصع أو الأحمر أو البرتقالي تتيه به ، وهي تخطر رشيقة نشطة بين حجرات الشقة ومشمشة بدورها لا تنام الليل إلا بين أحضان سيدتها الصغيرة ، تعانقها وتلعقها وتتكيء برأسها الصغير إلي ذراعها و تظل تسهر إلي أن يغلبها النوم فتنام.

صفاء حدثت قطتها ذات ليلة بأن أمها وزوج أمها ينتظران مولودا جديدا وسيكون ولدا إن شاء الله يا مشمشة وأريد منك يا مشمشة تحبيه كما تحبينني لأنه سيحبك كما أحبك ، وسنصبح ثلاثة أصدقاء بدلا من اثنين وسنملأ الدنيا لعبا ونطا وقفزا ومرحا .

وكانت صفاء تشعر عن يقين أن مشمشة تسمعها وتفهم ما تقول وانها كادت تنطق لتجيب سيدتهابأنها طبعا ستحب أخاها وأنها تنتظر قدومه السعيد كما ينتظره الجميع .

في مساء أحد الأيام فاجأت الأم آلام الوضع و قرر الطبيب نقلها للمستشفي وفي المستشفي وضعت اشواق مولودها وكان

المولود ولدا وسعد الجميع به ورفع الجميع كفوفهم نحو السماء وهم يتمتمون بالحمد والشكر والثناء لله علي هذا المولود الجميل .
الاسم كان ينتظر صاحبه الذي اختارته أمه «وائل» وائل ووافق عليه والده فاضل .
كان وائل يشبه إلي حد كبير والده فاضل فقد أخذ منه الوسامة والشعر الأحمر الناعم والعينين الزرقاوتين وباقي تقاطيع وجهه الصغيرة.
وظل فاضل يحب صفاء ويحنو عليها بعد أن أنجب وائل.
لم يفتر حبه لها ، بل ظل يحبها ويسوي بينها وبين ابنه وائل في المعاملة واستمر فاضل في حنوه وحبه لصفاء مثل حنوه وحبه لابنة وائل،وكان الاثنان صفاءووائل في نظره أنهما أخوان .
وكان يبث فيهما فاضل حبهما لبعضهما طول سنين حياتهما ، وأصبحا لا يفترقان عن بعضهما البعض يلعبان ويمرحان معا في فرحة وسعادة .
كان يأخذهما والدهما من وقت لآخر ليتنزها معه ومع أمهما ومعهم الخادم الفتاة الصغيرة ذات الثانية عشرة من عمرها ، صاحبة الابتسامة العريضة التي كانت تلاعبهما وتقضي لهما كل طلباتهما ، وآخر مرة كانا مشغولين باللعب مع خادمها الفتاة الصغيرة في حديقة كازينو من الكازينوهات الموجودة علي النيل،

بينما أمهما وأبوهما جالسان حول منضدة يحتسون المشروبات المثلجة وبعد احتساء كل منهما لمشروبه أخذ الاثنان يتحدثان حديثا كله ود وحب .

وفجأة سرح فاضل رغما عنه بعضا من الوقت وهو مغمض العينين بعده يفتح عينيه كمن يسترد نفسه من حلم جميل يبتسم لها ويحادثها وتحادثه والحوار بينهما يتسم بالأحضان والحب والتعاطف والفهم العميق .

******

تمضي السنوات ويشتد عود صفاء ابنة اشواق رويدا رويدا، وكلما كبرت كبرهم أمها في التفكير فيها وفي تعليمها وفي زواجها وفي مستقبلها بصفة عامة . وذات يوم لاحظ زوجها فاضل أنها مهمومة والوجوم والكآبة يبدوان علي وجهها ، فأحس أن هناك ما يحزنها ويشغل بالها فسألها عما بها، فأفرغت بين يديه كل أوجاعها، إن طفلينا يكبران يوما بعد يوم وحتي الآن لم نؤمن لهما مستقبلهما ..

ربت خدها بأصابعه في حنان دافق ، ثم أحاط بذراعه وهو يقول لها في رفق شديد .

– هذا كل ما يشغلك ؟ ،ويشغل بالك ؟

قالت له :

- نعم

قال لها مدللا :

- تعال نجلس هنا يا اشواق قلبي فإن هناك ما يهمني أن أقوله لك وجلسا معا ، وكان بسيطا واضحا أمينا إلي أبعد ما يمكن أن تصل إليه البساطة والوضوح والأمانة في حديث زوج مع زوجته التي يحبهاحب فناء ويحترمها إلي حد التقديس.

قال فاضل لاشواق إنها لا يمكنها أن تتصور قدر حبه لصفاء إنه يحبها كما يحب ولده وائل ويعدل بينهما في المعاملة وفي كل شيء دائما ولا يميز ولده عليها ، وكيف يحمل همها أولا ثم هم ولده، بمعني أنه يحمل همهما كما تحمله هي وبنفس المقدار ، ويسأل الله عز وجل أن يحفظهما وأن يبارك لهما فيهما.

وقد سرها حديثه هذا ، وهذا شجعها إلي أن تدخل في الموضوع وتقول له :

- هناك شيء يهمني كثيرا ويهمك أنت أيضا .

- ما هو ؟

- وائل الآن في العاشرة من عمره وقرب علي الانتهاء من دراسته الابتدائية وصفاء باق لها سنتان وتتخرج من كلية الحقوق ، الأولاد بتكبر وواجب علينا أن نؤمن لهما مستقبلهما ، كما يجب أن نحل لهما مشكلة المشاكل حتي لا يصطدموا بها

عندما يحتاجان إليها ..

قال الأب مستفسرا :

– ما هي التي سيحتاجان إليها !!؟

– الشقة

– فعلا، معك حق هي فعلا الشقة مشكلة المشاكل التي تقف عقبة في وجه الشباب عندما يريد الاستقرار وإقامة حياة أسرية كريمة .

– إنني منزعج جدا من الارتفاع الجنوني والاجرامي في اسعار الشقق وإيجاراتها،ألم تسمعي بمن أخذ من ساكن مائة ألف جنيه قبل أن يضع هذا الساكن قدمه داخل الشقة التي ستأويه مع أولاده وأمهم ؟

– سمعت أن أحدهم دفع للمالك ربع مليون جنيه .

وهناك من دفع نصف مليون جنيه ، والسؤال الآن هو : كيف نجد مسكنا في هذا الزمن الأسود لكل من صفاء ووائل ليبدأ كل منهما حياته السوية مع من سيقسمه الله لكل منهما زوجا وزوجة ؟ كيف يا اشواق ..

اطرقت اشواق في شرود وهي تقول ..

–لست أدري ..

–ليس أمامنا غير حل واحد ، ما هو ؟ ليس أمامي إلا أن أبيع

نصف الأرض التي ورثتها عن أمي ، هي في موقع جميل بالعجوزة تحتل ناصيتين ومساحتها ألف متر مربع وثمن هذاالنصف بالاضافة إلي مدخراتنا أقيم عمارة تتناسب من حيث الحجم وعدد الطوابق والمبلغ الذي سيكون بين أيدينا ، وستكون صفاء هي أول من تختار الشقة التي تعجبها لتكون مسكنها الذي تملكه هدية من بابا فاضل .

وأشواق بكت في صمت ، ورفعت عينيها الغارقتين في الدموع الي وجهه ، وأحست ببعض همها ينزاح عن قلبها ، ولم تنفرج شفتاها عن كلمة واحدة ، ولكن ضغطة كفها بكفه كانت تقول أكثر من الكثير ، وأضاف هو :

- وسأجلس اليوم مع عمي عبد الحميد بك جلسة عمل كما يقولون .

-بابا ؟

- وهل هناك عبد الحميد بك غيره ؟

- هل له دور في كل هذا ؟

- سأرجوه أن يبدأ وضع التصميم الذي يراه للعمارة لأنه الذي سيتولي العملية بكاملها إن شاء الله .

-صحيح يا فاضل ؟

- قالتها بتلقائية بفرحة واضحة فأجابها .

- هل نجد مهندسا معماريا واستشاريا أكفأ منه ؟
- ولا ذوقا أرفع أو أعلي من ذوقه ؟
- ما رأيك في كل هذا إذن ؟
-إنك خففت من أوجاعي، وازحت ما في صدري من هموم وأحزان .

******

نضجت صفاء وازدادت حسنا وجمالا وأصبحت شابة يانعة ، برزت أنوثتها ومفاتنها مما لفت أنظار شباب كلية الحقوق بجامعة عين شمس التي تدرس فيها لها ، وجعلهم يحاولون التقرب إليها .

ولكنها كانت تجبرهم علي احترامها ، وقد لفت نظرها هشام ابن المستشار كامل العلايلي وهو يدرس معها في نفس الكلية، ونفس السنة الدراسية ، وجدته صفاء كلما كانت معه بحكم الزمالة أومرت أمامه يتأمل جمالها في إعجاب مذهل مع الداخلين إلي حرم جامعة عين شمس، كانت صفاء عزت علي المنشاوي متجهة إلي قاعة المحاضرات للسنة الثالثة بكلية الحقوق ، تمضي متعثرة في اضطرابها وقد أعلنت الساعة التاسعة منذ كانت بميدان العباسية ، إن المحاضرة قد بدأت منذ عشر دقائق ومع ذلك فإنها تتعشم أن تلحق بباب المدرج

قبل أن يأمر الدكتور المحاضر بإغلاقه كعادته فور دخوله القاعة ، لقد صح ما توقعته صفاء فغادرت المكان مع من كانوا قد تجمعوا أمام الباب يرجون الفراش أن يفتح لهم .

إن تضييع الوقت بعيدا عن قاعات المحاضرات في الجامعة هو الأمر الذي لا أيسر منه ، الحديقة المطوقة للبنايات مليئة بالمقاعد تحت أشجار تنعم بالدفء و من ثم لم تجد صفاء عناء في قضاء الساعة الباقية علي بدء المحاضرة الثانية انتقت مقعدا تحت أشعة الشمس الدافئة في الشتاء وفتحت كتابا تقرأ فيه علي عجل والعقل منها شارد والحسد بداخلها و إن لم تعترف به لزميلاتها في رفقة زملاء يتهامسون .. فيم ؟ حقا يا صفاء ماذا يقولون؟ وهي ما زالت تحدث نفسها لا تراهم يتوقفون لحظة عن الهمس والابتسام وتورد الوجنات ينم عما يعتمل بالنفوس من رغبات. لا تظلمينهم يا صفاء ربما كانت أشعة الشمس هي المسئولة عن احمرار الوجوه .

- صباح الخير .

كمن ضبط متلبسا بفعل شائن تلقت صفاء التحية من الزميل الذي جلس لتوه بجانبها ولم تشعر به ، بفعل المفاجأة لم تجد ما ترد به عليه .

الزميل يتطلع إليها بدهشة والخوف يملأ كل وجهه خوفا من

الصد والرفض ومقابلته بما لايرضيه ، وكأنه توقع الموقف وأعد عدته لمواجهته فبادر بالاعتذار قائلا :

– أنا آسف . وأكرر أسفي لأنني قطعت عليك المطالعة

قالت :

ما عليك ، لم يحدث شيء يستحق الأسف

ابتسمت ، شجعه ذلك أن يواصل قوله

اعتقد أن الدكتور عصام اغلق الباب فور وصولك الي القاعة قبل أن ترد عليه استجمع شجاعته وحدثها بما يشبه الهمس :

– وأنا سعيد بذلك ؟

اهتز من فرط الاضطراب وهي تلتفت في كل اتجاه خشية أن يراها أحد وإن كانت الكلمات قد لاقت منها قبولا من الأعماق فطالما استشعرت في نفسها الرغبة لمحادثته والجلوس إليه ، لم يغفل هو عمايدور بخلدها وقد ظل يتابعها بنظراته طيلة عامين دراسيين ، وأحس أن ذلك شعور لديها كذلك ولم ترفض تلقي نظراته هادئة ورقيقة الحركات ، قليلة الصديقات عديمة الأصدقاء وقد زاد ذلك من شغفه للتعرف إليها ، من خلال العادة التي اعتادها الطلبة بترك كراساتهم علي المناضد لم يجد عسرا في معرفة اسمها ، لكنها لم تجرؤ مثله فلم تعرف اسمه

وحدثها قائلا :

- اسمي هشام كامل العلايلي

وابتسم منتظرا أن تنطق باسمها الذي يعرفه :

-اسمي صفاء عزت علي المنشاوي

مضت المحاضرة التي ضاعت منها مسرعة للأسف. ابتسمت صفاء واطبقت كتابها الذي ظل مفتوحا علي صفحة واحدة نظرت إلي الصفحة وودت أن تقبلها كفأل حسن بالتعرف إلي هشام .

قامت وقام يسيران جنبا إلي جنب ، تكلم هو ولم تتكلم هي بشيء .

كانت ترد للمجاملة حتي لا يفسر صمتها رفضا للصداقة وعلاقة الحب التي تمنتها ، سألها عن الكتب والمحاضرات وتبادلا الرأي في الاساتذة بمودة داخلت الحديث رويدا رويدا حتي صارت طابعة العام ، فكر أن ينقل مكانه بالقاعة بجانبها لكنه تحرج مرجئا ذلك للظروف عندما تتغيب إحدي صديقاتها اللائي يجلسن دائما بجوارها ، ثم حدثها قائلا :

- هل تسمحين بقضاء العشر دقائق القادمة ما بين المحاضرتين في الكافيتريا ؟ سألها وهما في طريقهما الي خارج قاعة المحاضرات ، ابتسمت وأجابت بعينيها « آه يا شقي ، إنك تفهم كل ما في نفسي .. كم أحبك ..

أحسست بالجوع هل تشاركيني طبقا من المكرونة الباشمل ؟
داخلها الخجل أن يراها تأكل وقالت :
-لا شكرا ليست لي رغبة في غير كوب من عصير الليمون.
ظلت تتابعه وهو يلتهم المكرونة وهي تفكر مامذاقها ؟ هل هي جيدة الصنع وهل يحبها دائما ؟ علي أي حال إن صنعها أيسر بكثير من عمل الأرز الذي يئست من اتقانه حتي إن والدتها تلومها علي ذلك في كل حين وتندب حظ من ستكون من نصيبه وتحدث صفاء نفسها قائلة :
- أين هي تلك الزوجة التي تجد الوقت لاعدادا الطعام بنفسها لاسرتها بعد أن دخلت المرأة مجال العمل والوظيفة ، حتي الأبناء في هذا الجيل يعهد بهم إلي الحضانات ..
ما أتعسه من جيل الذي تربيه الخادمات ، ما الذي ابعدني عنك بأفكاري يا هشام؟ تبقي بعض من طبق المكرونة لم يأكله ، لعله من النوع الذي لا يهتم بالطعام كثيرا .. يا سعادتي ؟ يا هنائي ؟ ما هذا ؟ كأنه أصبح زوجي ، أين عقلك يا صفاء ...
صوت جرس بدء المحاضرة يدوي ، بدأ رواد الكافيتيريا يغادرونها الي المحاضرات وحدثته صفاء قائلة :
- هيا يا هشام ..
قال لها وفي عقله أن يلقي إليها باقتراح :

- لا استلطف الدكتور سلامه ، أجد كتابه أمتع بكثير من محاضراته .

خشيت أن تبدأ علاقتها به بالمعارضة فقالت مضطرة :

- أخشي أن يكون هذا رأيك في جميع الاساتذة ؟

قال لها بدهشة :

- ماالذي دفعك الي هذا الاعتقاد ؟

في شيء من الخجل قالت له :

- عدم انتظامك في متابعة المحاضرات .

دون أن تدري افصحت عن شيء كانت تود أن تخفيه ، ما الذي جعلها تلاحظ ذلك ؟ هل هي مهتمة به لهذا الحد حتي تتابع حضوره المحاضرات ؟ امتلأت عيناه بالسعادة والنشوة وقد فطن لما تعنيه كلماتها . لم يشأ أن تثير الأمر صراحة واكتفي بما شاهده علي ملامحها من خلجات تنم عن القلق والخجل الذي تعانيه لأن العبارات انزلقت من شفتيها دون الامساك بها ، كان يمكنها أن تجعل لها معني عاديا لو أنها لم تتبعها بهذا الخجل ، كان يحملق في وجهها ليستطلع صحة استنتاجه فأكدته ود لو تمادي باستمتاعه بالموقف لكنه اكتفي بهذا القدر وفكر في تكرار ما حدث اليوم في لقاء فقال :

- وددت لو أنك سمحت لي باستعارة كراساتك لمحاضرات القانون

المدني إذا كان ذلك لا يعطلك عن الاستذكار .

حدثت صفاء نفسها قائلة :

– لو طلبت عمري كله يا هشام ما بخلت به ، إنني حريصة مثلك علي اللقاء ثانية ولو أردت كراسات المحاضرات جميعها ما ترددت في اعطائها لك ثم التفتت اليه وقالت له وعيناه يملأهما الحب :

– متى تريدها .. اني استكمل بعضا من المحاضرات التي فاتتني تسجيلها من قبل .. هل تنتظر حتي يوم الأربعاء ؟

استبعد الموعد لكنه لن يعدم الوسيلة للقاء كل يوم حقاإنها لاتهوي تضييع الوقت في حديقة الجامعة أو الكافتريا لكنه سوف يلتقي بها فيما بين المحاضرات ، يود لو أنها هربت من زميلاتها في هذه الدقائق المعدودة ما بين المحاضرتين لكنه يدرك انهاترتبط بزميلاتها أشد الارتباط ، فكر أن يلمح اليها بتركهن بعد أن شعر في نفسه من رغبتها فى صداقته .

انتهت ألمحاضرات في هذا اليوم وانتظرها حتي خرجت مع زميلاتها وجعلها تلمحه واقفا في انتظارها ، كأنها كانت تتعمد أن تلاحظ زميلاتها انتظاره، أو مأت اليه براسها بتحية عابرة وتعثرت قدماها عن عمد منهافى لا شيء ، التفتن اليها وأدركن ما تصبوهى اليه .. قالت احداهن بابتسامة ودهاء :

– هشام ينتظرك يا صفاء

قالت صفاء وهي ترد غمزتها:

– لو تسمحون لي ؟

سارا جنبا إلي جنب وحاولت أن تعاتبه بنظرة وإن كانت في اعماقها سعيدة مبتهجة بذلك، حاول الاعتذار وترك لعينيه أن تقول لها ما تشاء أن تقول :لأنني أحببتك يا صفاء ولم استطع الانتظار حتي يوم الأربعاء ، اعذريني فالأمر ليس بيدي .

كان يبطيءالسير حتي تطول المسافة القصيرة إلي ميدان العباسية حيث يركن سيارته الخاصة وحيث سوف يفترقان ، وكانت هي تود لو توقفا تماما عن السير ، كان يسعدها أن تنظر إليه لترى وجهه لتغمض عينيها على صورته فلا تفلت من مخيلتها ابدا ، لكنها كانت تتلاشى رغما عنها فيجعلها ذلك تعاود الكرة مرة أخرى حتي اذن وقت الفراق .. وقالت له مازحة وهى تودعه مصافحة : بعد أن نقلت كل ما فاتك من محاضرات أرجو ألا تتأخر عن متابعة المحاضرات في الأيام القادمة .

وقال لها وعيناه يملأهما الحب

– من الآن فصاعدا لن أتأخر عن أى محاضرة ..حتى لا أحرم من رؤياك .. من يوم أن عرفتك وانا أقبلت على دروسى والاستذكار بنهم .. قبلك كنت أعيش بلا هدف ..حياتى كانت بلامعني ولا طعم

ولا لون وكما يقولون إن الحب يفعل المعجزات. سرها ما سمعت منه فابتسمت له ابتسامة تنم عن سعادتها ونشوتها ..

******

كانت صفاء عزت علي المنشاوي ترنو إلي خارج السيارة التي تقلها مع زميلاتها وزملائها إلي ضاحية القناطر الخيرية لقضاء عطلة شم النسيم ، إنها المرة الوحيدة التي استجابت فيها نوازع نفسها لمشاركة هشام الافلات من الجو العام في الكلية . حقا إن الحياة الجامعية تتيح الاختلاط علي الوجه الذي ترتضيه الفتاة ولا تجد حرجا في إنشاء الصداقات بين الجنسين إلا أنها استشعرت أن رحلة كهذه وفي يوم يتسم بالمرح والهروب من الحياة الروتينية يجعلها تستمتع بحرية وانطلاق أكبر ، كانت علي ما يختلج به صدرها من انفعالات ساكنة هادئة تشاركه بالبسمة عندما تضحك غيرها وبالتصفيق عندما ترقص إحداهن ، رفضت تماما أن تشارك بأكثر من هذا وانكرت علي زميلاتها إصرارهن علي أن ترقص عندما جاء دورها في ذلك ، كانت ترقب هشام الذي كان ينظر إليها بنظرات تفيض بالحب والغرام والهيام وظل أفراد الرحلة في مرحهم وغنائهم وصخبهم ولم يعيروا انتباها الي سائق السيارة ورجائه أن يكفوا عن هرجهم وضجيجهم ليتمكن من الوصول بهم سالمين .

تبادلت صفاء مع هشام نظرات أغنتهما عن أي حديث ، وسارا جنبا إلي جنب دون أن تعي ذلك فقد كانت كلما انتبهت إلي أنها تكاد تلتصق به تعمدت أن تبتعد عنه حتي تعود من جديد إلي جواره دون أن تدري. هربا من المجموعة الي حيث انتحيا جانبا من الحديقة وجلسا متجاورين واستدارت الرؤوس لتتيح للعيون أن تتلاقي مباشرة . قال لها:

– يوم لن أنساه .. ما رأيك ؟

قالت وهي تخفض نظرها إلي الأرض خجلا :

– لا أدري كيف أقنعتني بالاشتراك في الرحلة ؟

قال :

– أرجو ألا تكوني نادمة

استنكرت أن يكون الأمر كذلك فقالت :

– لم أتعود الخروج وحدي ، إنها أول مرة تحدث

قال :

– ولن تكون الأخيرة علي ما أرجو ، لن نترك رحلة دون الاشتراك فيها .

قالت :

–إن الكلية تنظم رحلة كل أسبوع ، معني ذلك أن نكون كل أسبوع في رحلة ؟

قال وعيناه يملأهما الحب :
- ولم لا ؟ أنا بودي أن نكون معا كل يوم ، بل كل لحظة بل كل ثانية أ جابت تقصد اثارة دوافعه من علاقاتهما :
- أفضل أن ننتهي من الدراسة أولا وبعدها ...
صمتت ولم تخرس التوجس في داخلها،رمقته بإمعان لتستجلي أغواره وقد سرها أن لمحت أساريره تنبسط وقد أغمض عينيه كأنه يري بعين خياله المستقبل وما يخبئه ، لابد أنه قد أسعده ما رأي ولكنها ارتعدت فجأة كمن صعقه تيار كهربائي وخلصت أصابعها من بين قبضته وأرسلت إليه نظرة تعاتبه وتقول له في نفسها :
- لم يأت الأوان بعد يا هشام ،
ثم بعد ذلك تناجيا وامتد الحديث وعجبت أن الوقت يمضي بسرعة أكثر مما تعودت وزال عجبها لما كانت تري من طول الهمس بين الزملاء في حديقة الجامعة. لقد مارسته بنفسها ولمست مبلغ السعادة بضياع الوقت في مناجاة القلوب والعيون . في طريق عودتها لم تشارك الرفاق لهوهم وغناءهم وانفردت بنفسها تراجع أحداث اليوم والساعات التي قضتها في مرح وضجيج وسعادة لا توصف ووصلت بهما السيارة إلي ميدان التحرير .

التأم الشمل في الميدان قبل أن يغادره كل إلي حال سبيله .
تجمعوا في وداع سريع ومرح علي أمل اللقاء في الصباح بين قاعات المحاضرات وقبل أن تهم صفاء بالذهاب الي بيتها اقترب منها هشام وسألها :
- كيف ستذهبين إلي المنزل؟ .. أقصد ماذا ستستقلين من وسائل المواصلات ؟
قالت له :
- أي مواصلة أجدها متوافرة .
شجعه هذا الرد علي أن يقول لها :
- سأسير في اتجاه ميدان طلعت حرب لشراء بعض الكتب .. ماذا لو شاركتني المسيرة ؟
قالت :
- أخشي أن أتأخر في العودة للبيت
ابتسم قائلا :
-وهل يعلمون في البيت موعد وصولك بالدقيقة ؟
لمح التردد في عينيها فأطبق علي ترددها وخنقه قائلا وهو يهم بالسير :
-هيا بنا .. هيا بنا فترددك هو الذي يؤخرك .
سارا معا وكانا من الممكن ألا ينبس بكلمة واحدة لو أنه

شاركها الصمت، جمل هو مسلكها علي أنه تمنع وتردد يزيدها رونقا ويضعها في نفسه موضعا حسنا ، وانزلق لسانه يخوض في كل حديث وسارا حتي أمريكين عماد الدين ثم توقف فجأة أمامه وقال بدعابة :

– والله بدون تدبير ، ما رأيك في الجلوس قليلا ؟

–قالت : كفي ما نلناه من مرح وبهجة ووقت طويل قضيناه في القناطر .

–قال: أرجو أن نختتم اليوم بجلسة هادئة بعيدا عن صخب الزملاء ، ثم وهو الأهم بعيدا عن فضولهم .

–قالت في تردد:صدقني سوف أتأخر في العودة للبيت ، أجل هذا إلي يوم آخر .

قال بلهجة المتوسل مظهرا أنه يعز عليه فراقها :

–من أجل خاطري ، أريد أن أحدثك في موضوع هام ،يهمنا معا هيا ندخل أولا ،أمسك بيدها رغم رفضها وقادها إلي الداخل ، قابلها جو هادىء تعود عليه المترددون علي المكان فأصبح مفضلا لديهم ، انتقي هشام مجلسا في أحد الأركان لا يشاركهما فيه أحد وتلفتت هي ذات اليمين وذات اليسار لفتة لتستوثق أن أحدا يعرفهما لم يراهما ، هدأت نفسا وتطلعت إلي هشام في فضول واستفسار :

ما الموضوع ؟

قال :

- لماذا أنت عجولة ؟

قالت في شيء من القلق :

أخشى أن أتأخر كما قلت لك .

أخذ ينظر إليها مفكرا كيف يبدأ ما أراد أن يثيره معها ولم يجد بدا من البدء قائلا :

- صفاء ، هل فكرت في ارتباطنا ؟

فاجأها السؤال وإن كانت إجابته قد أثارتها و لما طال انتظاره للرد قال حافزا علي الحديث :

- لابد أنك فكرت في الأمر كما فعلت أنا ؟

ابتسمت ثم ترددت ثم أجابت :

- كيف فكرت في هذا والوقت ما زال أمامنا متسعا لم نتخرج في الجامعة بعد ، ثم بعد التخرج أمامنا تمرين كبير حتي نصبح محامين ، ثم أمامنا بعد ذلك أن نبحث عن مكتب محام للعمل لديه ..

قال في زهو وافتخار :

لا تحملين هما لكل ذلك فإنك ستتمرنين معي في مكتب بابا المستشار المحامي كامل العلايلي و ستعملين به أيضا معي بعد

التمرين
-قالت في فرحة:والدك المستشار كامل العلايلي صاحب مكتب المحاماه المشهور ؟
-قال : نعم
-قالت بخيبة أمل: وهل والدك المستشار سيوافق علي ارتباطنا؟ وعلي تمريني معك بمكتبه والعمل به بعد التمرين ؟
-قال : طبعا سيوافق
-قالت مستفسرة:ما الذي يجعلك متأكدا هكذا ؟ إنك متفائل أكثر من اللازم .
-قال:أولا لأنني ابنه الوحيد ولم يتعود أن يرفض لي أي طلب ، ثانيا لأنه رجل غير مستبد برأيه ، فإنه أب متفاهم دائما ورباني تربية ديمقراطية ، أناقشه ، ويناقشني في كل أمر من أموري وفي النهاية يقتنع برأيي.
قالت مداعبة ، ومازحة:إذن ضمنا الزواج ، والتمرين ، والوظيفة قبل الأوان .

****

هشام شاب وسيم ، وجهه مشرب بحمرة ، وعيناه واسعتان خضراوان بلون الخضرة في الحقول ، وشعره أصفر ناعم يميل إلي لون شفق الشمس عند الغروب ، وصفاء جميلة في جمال أمها

في صباها بشعرها الأصفر الناعم كسبائك الذهب ، وعينيها الواسعتين الزرقاوتين بزرقة السماء الصافية وباقي تقاطيعها الصغيرة الرقيقة، الدقيقة.
وارتاحت صفاء الي هشام وأعجبت به وبأخلاقه وكان يقترب منها وتقترب منه يوما بعد يوم حتي توطدت علاقتهما أكثر وأكثر مما هي عليه حتي أصبحا في السنة النهائية من الدراسة .

وتخرجا معا وبعد التخرج توسط لها عند والده كامل العلايلي المحامي الكبير الذي كان مستشارا بمحكمة النقض واستقال ليعمل بالمحاماه لتتمرن بمكتبه معه ، ووافق والده بعد أن عرف علاقة الحب التي بينهما وباركها. وأنهي وائل -أخوها-دراسته الابتدائية وتقدم للدراسة الاعدادية. ومرت الأيام بصفاء وهشام مترعة بالغبطة والسرور ، كان هشام يراها جميلة كل الجمال ،لطيفة ،رقيقة كل الرقة ،ترتسم دائما علي شفتيها ابتسامة حلوة ، لا تعلو وجهها المساحيق والتصقت في ذهنه صورتها منذ رآها أول مرة ، كانت صورة محببة إلي نفسه. ولذلك قرر أن يتخذها زوجة له ، وبذلك يتحقق حلم حياته الذي عاش فيه طويلا كم كان يود أن تكون صفاء له زوجة ، ليسكن اليها ويشكو لها كل ما يحس به من متاعب و

تشاركه سعادته و تقاسمه افراحه وقد وجدها الزوجة المناسبة له لما تتمتع به من خلق حسن وأدب جم ، إنها مناسبة له روحا وعقلا وتقدر مسئولية الزواج وتقدس الحياة الزوجية .
لقدأحب كل منهما الآخر ، وازداد حبهما يوما بعد يوم ، وكان كل منهما يعتقد في قرارة نفسه أنه يبادل الآخر أضعاف ما يشعر به من مشاعر وأحاسيس وعاطفة وازدادا تقربا حتي أصبحا لا يفترقان ..
وتمت خطبة صفاء لهشام في حفل بهيج حضره الأهل والأقارب وفي اليوم التالي خرجت صفاء في نزهة مع هشام .

انتقلا من حديقة إلي حديقة وضحكا معا ضحك طفلين يحلمان بالسعادة الابدية ، وشردا معا يسعدان بالأماني الدافئة التي احتلت صدريهما ، حتي إذا ما بلغا ربوة خضراء هرعا إلي ظل شجرة وارفة ، وتجري صفاء لتسبق هشام إليها ويجري هشام خلفها مهرولا ..
وتسبقه إليها وتختفي خلف جذعهاويلحق بها هشام ويضمها إلي صدره وهي خلف تلك الشجرة و أراد أن يقبلها في شفتيها ولكنها منعته في دلال بالغ بوضع أصابعها ويدها حائلا فوق شفتيه وقالت له :

- كن عاقلا ، وأجل هذا إلي ما بعد الزواج ..

******

مرت الأيام بحلوها وبمرها علي عزت ، الذي رضي بقضاء الله وقدره .. تقدرون فتضحك الأقدار وتقدر غير ما تقدرون

استمر عزت في عمله كسائس للسيارات بالجراج السابق تعيينه فيه بالاسكندرية أكثر من عشرين عاما ، لم ير فيها ابنته صفاء خوفا من انتقام اشواق "أمهازوجته السابقة " وهو لا يعلم إذا كانت أمها قد تزوجت أم لا ، وكان عزت محبوبا من زبائن الجراج لروحه الخفيفة الجذابة وحسن كلامه و طلاقة لسانه وفهلوته ومهارته في تنظيف السيارات الخاصة بهم بكفاءة عالية ..

وكان له أكثر ارتياحا من الزبائن الاستاذ المستشاروالمحامي الكبير كامل العلايلي ، الذي كان يترك سيارته بالجراج عندما يذهب الي الإسكندرية لحضور بعض جلسات قضايا موكليه و الذي تعاطف معه بعد أن علم منه قصته مع زوجته السابقة وتأثر كثيرا بعد سماعها منه ولذلك عرض عليه أن يعمل عنده سائقا ، فطار عزت من الأرض فرحا ووافق في الحال .

وظهرت النعمة علي عزت حيث استبدل الملابس الرثة البالية التي كان يرتديها ، بملابس جديدة غالية الثمن وأخذ في

الاعتناء بمظهره و تهذيب شعره وشاربه .واستعمال أحدث ما ظهر من أنواع العطور وزال عنه وجومه وأصبحت الابتسامه لا تفارق وجهه إلا عندما يتذكر ابنته صفاء .. صفاء التي لا يدري عنها أي شيء طول غيابه عن القاهرة ، لكنه لم يفقد الأمل من العثور عليها .ويكون بذلك قد عوض الله صبره خيرا وبحكم عمله مع الاستاذ كامل العلايلي كان يري صفاء دون أن يعرف أنها ابنته و لكن رابطة الدم كانت دائما تقربه منها وتقربها منه ..

حيث كانت ترتاح صفاء له ولحديثه معها أثناء توصيلها بسيارة الاستاذ كامل العلايلي إلي أي مكان .. كانت صفاء تزداد تعلقابعزت يومابعد يوم وتزدادتقربا اليه وازدادت ايضا ثقتها فيه لدرجةانهاكانت تحكي له عن ادق تفاصيل حياتها

وعرف عزت منها اثناء حديثها معه في احدالايام انها مخطوبة للاستاذ هشام المحامي نجل الاستاذكامل العلايلي وقريبا سيتم زفافهما .وكانت صفاء تحدث والدتها دائما عنه وعن طيبة قلبه وحنانه عليها وشدةاهتمامه بها دون ان تذكرلهااسمه وعندما سمعت والدتها اسمه منها في آخر مرة حدثتهافيها عنه ساورها الشك من أول وهلة واخذت تفكر في جدية تامةفي هذاالامر ولم تستبعد أن يكون هو والد ابنتهاصفاء، وطلبت منها والدتها أن تراه لتشكره علي

عطفه وحنانه و حسن معاملته لها واهتمامه الشديدبها.
وفي احدالايام كان عزت يقوم بتوصيل صفاء الي بيتهاكعادته فطلبت منه ان يصعد معها إلي شقتهم لتعرفه بوالدتها التي كلمتهاعنه وعن اهتمامه الزائد بها وصعد معها عزت وقدمته صفالوالدتها.
يالهامن مصادفة عجيبة قد جمعت بين عزت وابنته صفاءواخيراجمعت بينه وبين طليقته اشواق
وقدعرفته اشواق عندما دخل عليهاالشقة من اول وهلة بالرغم من آثارالسنين التي غيرت ملامحه بعض الشئ وكادت تناديه باسمه ولكنها تماسكت امام ابنتها وتظاهرت بأنها لاتعرفه وحيته أشواق وقدمت له الشكرعلي اهتمامه الزائدبابنتها واحتارت اشواق من هذا الامر وقالت في نفسها و هي تفكرتفكيرا عميقا .
هل القدرهو الذي دبرلقاءهما هو وابنته «صفاء» لكي تنكشف الحقيقة أم هي مصادفة؟ أيا كان إذا كان القدرهو الذي دبرلقاءهما او تقابلا مصادفة فسوا للقدر اذا كان هو الذي دبرذلك وسوا للمصادفة اذاكانت هي السبب في لقائهما ..
ثم أخذت أشواق تتذكر الماضي البعيد بكل آلامه واحزانه واستعرضت حياتها مع عزت التي مرت ببالها وكأنها شريط سينمائي وتذكرت اهماله لها وقضاء معظم وقته مع الاخريات

وممارسة لعبة الحب والجنس معهن وعودته الي البيت منهوك القوي فاقد الرجولة إنها عانت كثيرا من الحرمان معه لعدم نيلها حقوقها الشرعية منه استعرضت كل حياتها المرة معه انها لم تتذكر له اي شي حلو الا قبل الزواج بها عندما كان يعطيها من معسول الكلام عن الحب الذي ملأ به قلبها واحلامها وملك به كل مشاعرها واحاسيسها

واكتشفت بعد مرور عام من زواجها ... أنه خدعها ولعب بقلبها وعواطفها ومشاعرها وأحاسيسها و جعلها تحبه وتضحي بالكثير من أجله ضحت بأهلها ، وبعادل الإنسان المتزن الخجول الجاد الذي كان سيوفر لها حياة كريمة هادئة مستقرة لو تزوجته .

كان عزت يديرلها اسطوانات الحب والهيام واللوعة والحرمان ويتغزل في عينيها كان كل ذلك بغرض الوصول إليها ونيلها فقط ، وعندما عجز عن ذلك لرفضها المستمر قرر أن يتزوجها ، حتي بعد أن أحبها بصدق بعد أن ضبطته يخونها مع أعز صديقة لها وقرر التوبة وأفهمها بأن هذا الحادث أفاقه من غفوته وأعاد إليه صوابه وطلب منها أن تسامحه . لم تصدقه لأنها كانت قد فقدت الثقة به ، وطلبت من عزت الطلاق وعندما رفض عزت طلاقها ادعت الجنون .

وبعدعودتها من الماضي البعيد واستعراض حياتها مع عزت حدثت نفسها قائلة :

بعد كل هذا بعد كل هذه السنين جاء عزت ليثير شجوني وآلامي وينبش في الجرح القديم ، ويفسد العلاقة بيني وبين زوجي فاضل ويهدم مستقبل ابنتي صفاء،جاء ليهدم كل ما بنيته أنا وفاضل من مستقبل زاهر وباهر لابنتي صفاء

لا .. أبدا لن أتركه يفعل . يجب أن يبتعد عنا ويتركنا لحالنا ..

وأخذت اشواق تفكر في جدية تامة في هذا الأمر وبعد أن أجهدها التفكير خرجت منه برأي واحد هو ..

يجب ألا تنكشف الحقيقة يجب أن يظل عزت في نظر صفاء ميتا ويظل هذا السر في طي الكتمان ..

يجب أن يبتعد عزت عن صفاء و لكن كيف؟ وهو يعمل سائقا للمحامي الذي تعمل هي عنده ، وفكرت أشواق كثيرا في ابعادها هي عنه ، ولكن كيف دون أسباب ؟

لابد وأن تسأل صفاء والدتها عن الأسباب لطلبها هذا .

وهي – أي اشواق– ستعجز عن الاجابة علي سؤالها ..

وزادت حيرة اشواق وزاد قلقها .. كيف تنهي هذا الأمر وبعد أن أجهدها التفكير هداها تفكيرها إلي أن تستدعي نجوى

صديقتها وابنة أخت زوجها فاضل .. وكاتمة اسرارها لمشاورتها ومشاركتها في هذا الأمر للوصول إلي حل بعيدا عن ابنتها صفاء ..

وحضرت نجوي وأخبرتها اشواق بظهور عزت زوجها السابق والتقائه بابنته صفاء عند الاستاذ كامل العلايلي المحامي الذي يعمل عنده سائقا .. ورابطة الدم قربت بينهما - أي بين عزت وصفاء - وحتي لا تهدم حياتها وحياة ابنتها يجب أن يبتعد عنهما ..

ودهشت نجوي أشد الدهشة لظهور عزت المفاجيء .. هكذا فجأة بعد أكثر من عشرين عاما .

وتشاورتا في الأمر واهتديتا إلي أن تقوم نجوي بالاتصال بعزت لتحديد موعدللقائه هي واشواق في مكان لبحث هذا الأمر.

وألتقت نجوي واشواق في المكان والزمان اللذين حددهما عزت وحدثته اشواق بصراحة دون لف أو دوران إنها قد عرفته من أول وهلة عندما دخل عليها من باب الشقة واضطرت أن تنكر معرفتها به أمام ابنتها وقال لها عزت : - وأنا الآخر قد عرفتك وتظاهرت بأني لا أعرفك إلي حين أن أمهد لذلك ، حتي لا تفاجأ صفاء بحقيقة الأمر وطلبت منه هي ونجوي أن يضحي من أجل سعادة ابنته ويختفي من حياتها إلي الأبد ، وأفهماه أن

هذا سيكون لصالح صفاء ولكنه قال لهن وهو يبكي
- من الظلم أن ابتـعـد عن ابنتي التي حـرمت منهـا كل هذه السنين ..
وقال لاشواق مستطردا
إنك ظالمة
ثم قال لهما
إنكما تطلبان مني المستحيل .. لا . لن ابتعد عنها
قالت أشواق
- ولكن هذا سيكون في غير صالحها إنك بعنادك وباصرارك هذا ستكون السبب في هدم مستقبلها
قال في دهشة
- كيف ..؟
قالت نجوى:
- ابنتك مخطوبة للاستاذ هشام المحامي ابن المستشار كامل العلايلي الذي تعمل أنت عنده سائقا .
قال:
أعرف هذا جيدا ، لقد أخبرتني بهذا النبأ صفاء ، وسعدت بعد سماعه بسعادة لا تقدر. وماذا في هذا ؟
قالت نجوى مستطردة :

- هذا سيكون السبب في فض الخطبة ..

قال

- لماذا ..؟

قالت اشواق:

- من غير المعقول أن يرضي الاستاذ هشام المحامي ابن الحسب والنسب بالارتباط من ابنة سائق والده ولاوالده هو الآخر يوافق علي هذا الارتباط ، كما يجب أن تأخذ في الاعتبار أن ابنتك تحب هشام حبا جنونيا ولا تطيق البعد عنه ولو لثانية واحدة فكن عاقلا ولا تحطم قلب ابنتك .

قال وهو يبكي

- صعب علي تنفيذ ما تطلبين

قالت نجوي:

-وصعب علي صفاء أن تخسر خطيبها وحبيبها الذي تحبه بكل كيانها و تخسر عملها عند الاستاذ كامل في حالة فض الخطبة .

قال وما زالت الدموع تتساقط من عينيه:

هذه ابنتي ، قطعة مني وأنا والدها ولي حق فيها ..

-قالت اشواق :الأبوة ليست امتلاكا للأولاد ، ولكنها أداء وممارسة ، وعطاء. هل أديت أنت واجبك نحوها؟هل مارست أنت الأبوة مع

ابنتك؛؟هل أعطيتها شيئامن ودك وحنانك كأب؟
أين كنت طول هذه السنين كلها ؟ ، لماذا أهملتها وهي زهرة صغيرة لم تتفتح بعد ؟ لماذا لم تروها بحنانك وعطفك؟ لماذا لم تحاول أن تسأل عليها كل هذه السنين أو تراها حتي من بعيد ؟ بل تركتها واهملتها ونسيتها وعندما نمت وتفتحت جئت تقطفها لتذبل بين يديك ..
قال عزت وما زالت الدموع تتساقط من عينيه :
خوفي منك ومن الاحكام التي كنت تحصلين عليهاالسجني هما اللذين منعاني طول هذه السنين من أن أراها وأحنو عليها وأعطف عليها وأقوم بواجبي نحوها كأب .
-فقالت اشواق : هذه أسباب غير منطقية لكي تنسي ابنتك ولا تراها ، وما دمت قد نسيتها طول هذه السنين فكذلك اليوم تنسي. قال عزت مستعطفا اشواق وهو يبكي .
-إذا كانت عندك ذرة واحدة من الرحمة فأضرع إليك ألا تحرميني من ابنتي ، إنني أحبها وإنني شقي بدونها أشقاني كثيرا البعد عنها وحرماني منها .
قال عزت وهو ما زال يبكي لاشواق مستطردا
- صفاء تعلقت بي دون أن تعلم أني والدها ، وستتعلق بي أكثر وأكثر عندما تعلم ذلك .

قالت اشواق:

- بل ستكرهك أكثر وأكثر لأنك ستكون السبب في هدم مستقبلها وضياع حبيبها هشام منها فالأفضل أن تنسحب وتتركها وهي تحبك .

قال:

لن يكون هينا علي صفاء تركي لها بعد أن ارتاحت لي وتعلقت بي و تعودت علي دون أن تعلم أني والدها .

قالت نجوي:

ستتأثر بعض الوقت وسرعان ما تعود إلي حياتها الطبيعية وتكون أنت ذكري جميلة في حياتها ..

قال .وما زالت الدموع تتساقط من عينيه

- ولكنها لن تكون هي ذكري جميلة فقط في حياتي .. بل ستكون كل حياتي التي أعيشها بحلوها ومرها ، ولن أنساها ما حييت ، و سأتأثر وأتألم ألما بالغا طول الأيام الباقية من عمري وسأموت مثلما يموت السمك عند خروجه من الماء إذا تركتها وبعدت عنها .

قالت اشواق

- هكذا تكون التضحية ، يجب أن نضحي براحتنا وحياتنا لكي يعيش من نحب ، في سعادة وهناء وراحة بال ، ويجب أن

تظل في نظر صفاء ← كأب لها ، كما أفهمتها أنا منذ الصغر

-قال :هذا أيضا كان ضمن انتقامك مني ولكني سأرد لك الضربة وسأكشفك وأكشف كذبك عليها وتضليلها كل هذه السنين وسأصارحها بالحقيقة سأقول لها بأني والدها ..
-قالت اشواق :سأكذبك ،وسوف تصدقني لأنها تثق بي وبكل كلامي، فوفر علي نفسك الخزي والحرج أمام ابنتك .
كن عاقلا وحكم عقلك ولا تكن عنيدا حتي لا تضيع ابنتك كما ضيعتني منك بعنادك واصرارك علي السير في طريق الخطيئة .
قال في إصرار:لا لن انسحب ابدا
قالت اشواق: بل من الافضل أن تنسحب. تنسحب وأنت في صورة جميلة ومشرفة في نظر ابنتك ..إن لديها فكرة عنك انك كنت رجلا عظيما ذا أخلاق طيبة ، وكنت زوجا مثاليا لي وهذا طبعا يخالف الواقع .
-قال:وماذا في هذا ؟
-قالت اشواق مهددة إياه :إذ لم تنسحب وتبتعد عنها، سوف أغير لها هذه الصورة المشرفة وأقول لهاالحقيقة،التي لو عرفتها لن يشرفها ابدا أن تكون أنت والدها،فكن عاقلا ولا داعي لنبش

الماضي :

-قال في ألم وأسي: إنك تمسكينني من يدي التي تؤلمني

-قالت اشواق :لن اتركك ابدا تهدم ما بنيناه أنا وفاضل طول السنين التي مضت.

قالت اشواق مهددة إياه وهي تستطرد:يجب أن تنسحب وفورا و إلا فضحت أمرك لابنتك .

قال وهو مهموم ومستسلم مستطردا :أعود وأقول إنك تمسكينني من يدي التي تؤلمني وتلوين ذراعي

****

وذات يوم سأل عزت ابنته عن والدها ، فحدثته عنه بحديث طيب ووصفته له وقالت إنه كان نعم الأب الطيب ذا الأخلاق الحميدة وكان نعم الزوج المخلص لوالدتي أي أنه كان زوجا مثاليا لها بكل ما تحمل هذه الكلمة من معني كان ملاكا يسير علي الأرض .

وبعد سماع عزت للصورة المثالية المشرفة التي انطبعت في ذهن ابنته صفاء عنه ، فضل الانسحاب حتي لا تهتز هذه الصورة عندها فترك القاهرة وهام علي وجهه مرة أخري ، من بلد إلي بلد لا يستقر له حال مضحيا بنفسه لكي تعيش ابنته صفاء وتهنأ بحياتها مع الإنسان الذي اختاره قلبها وأحبته

حبا جارفا ، ويمستقبلها الباهر عند الاستاذ كامل العلايلي المحامي .

وقلقت صفاء عليه لتركه العمل عند الاستاذ كامل فجأة واختفائه دون إنذار ثم فكرت في الأمر جيدا . وهداها تفكيرها ربما يكون غيابه عن العمل بسبب المرض والواجب يحتم عليها أن تسأل عليه . وأخذت صفاء عنوانه من المكتب وذهبت لتسأل عليه وصدمت صفاء عندما علمت من الجيران أنه ترك القاهرة وسافر. و سألت صفاء إلي أين سافر ؟ وقالوا لها لا نعلم وذهبت صفاء إلي بيتها وهي مهمومة وحزينة علي فقد عزت واختفائه واستقبلتها والدتها في مزاح معها قائلة :

- مالي أري عصفورتي الجميلة في وجوم وحزن شديد هل حدث شيء يستدعي كل هذا ؟

قالت صفاء :

- نعم

قالت اشواق في فزع :

- إذن أخبريني بربك ماذا حدث ؟

قالت صفاء :

-عم عزت

-قالت اشواق :ماله ؟ هل أصيب بشر ؟

قالت صفاء : لا ولكنه ترك الخدمة عند الاستاذ كامل فجأة دون انذار .. قالت اشواق :هو وشأنه هذه هي حياته يتصرف فيها كما يشاء

-قالت صفاء :ياليت الأمر توقف عند هذا الحد

-قالت اشواق :ماذا هناك بعد تركه العمل ؟

-قالت صفاء وهي مهمومة :سافر إلي خارج القاهرة.

-قالت اشواق وهي تبتسم ابتسامة فيها كل الحنان والعطف علي ابنتها .

- هكذا الحياة يا عزيزتي و هكذا الدنيا نلتقي فيها ثم نفترق.

قالت صفاء :

-إنه ترك فراغا كبيرا في حياتي..إنني قد تعودت عليه وأحببته.

-قالت اشواق :هل تحبينه إلي هذا الحد ؟

-قالت صفاء:وأكثر يا والدتي إن هناك شيئا خفيا كان يقربني من هذا الرجل ويشعرني بمشاعر البنوة نحوه .

-قالت اشواق:ربما يكون هذا الاحساس ناتجا عن فقدك والدك وأنت صغيرة وقد عوضك عمك فاضل بحنانه عنه وصار لك أبا بكل ما تحمل هذه الكلمة من مشاعر الحب والود ولم يفتر حبه لك يوما ما حتي الآن ، وكان يسوي بينك وبين أخيك وائل في

المعاملة أليس الأجدر بك أن تهتمي به هو وتتركي اهتمامك بهذا الرجل المدعو عزت ، الذي التقيت به في لقاء عابر.

-قالت صفاء :إن اهتمامي بعم عزت لم ينسني اهتمامي ببابا فاضل يوما ما ، فإنني أحبه وأقدره وأحترمه وسأظل مدينة له بتربيتي وتعليمي ومستقبلي الباهر الذي كان هو وراءه لولا وقوفه إلي جانبي ما كنت أصبحت محامية ولا أصبحت شيئا بالمرة .

-قالت أشواق :هكذا الوفاء

-قالت صفاء مستطردة :والوفاء أيضا يجعلني أتذكر عم عزت دائما واهتمامه الزائد بي وكنت أودالا نفترق أبدا .

– قالت اشواق :قلت لك يا عزيزتي هكذا الحياة، وهكذاالدنيا فيها نلتقي .. ثم نفترق ..ثم نفترق لنلتقي لنلتقي وأرجو ألا تتألمي لغيابه ومن يعرف؟ ماذا في علم الغيب؟ ،ربما يأتيك فجأة في أحد الأيام وتسعدين بلقائه . وكما يقولون في الأمثال «مسير الحي يتلاقي »كان عزت الجانب المضيء المشرق في حياة صفاء ابنته دون أن تعلم أنه والدها ، لذلك تألمت كثيرا لغيابه عنها وحرمانها منه .

كما كانت هي الأخري الجانب المضيء والمشرق في حياة عزت خصوصا بعد أن عرف أنها ابنته ..

وهام عزت علي وجهه من بلد إلي بلد حتي استقام به المقام بمدينة اسوان وظل يبحث عن عمل له دون جدوي وزاد بؤسه ويأسه . ذاق عزت مرارة الحرمان والبطالة وخلو اليد كان يرزح تحت عبء الشيخوخة التي حفرت أخاديدها في روحه وقسمات وجهه. بينما كانت اشواق تزداد نضجا وتفتحاوفتنة وسحرا كان هو يخبو وينطفئ كفتيل مصباح نفد زيته ، بينما هي تتفجر صبا وأنوثة وحياة وعاش عزت في اسوان حياة الضياع والصعلكة بكل أبعادها من جديد وبعد أن نفذ آخر قرش معه وأصبح يا مولاي كما خلقتني أخذ يبيع ملابسه الفاخرة التي سبق أن اشتراها أيام ان كان يعمل مع الاستاذ كامل العلايلي المحامي وبعد أن باع كل ما عنده وأصبح لا يجد ثمن القوت الضروري لسد رمقه وعضه الجوع أخذ مضطرا إلي أن يتسول كل يوم ثمن ثلاث أرغفة من الخبز يأكلهم بالملح في الثلاث وجبات وثمن ثلاثة سجائر يدخن سيجارة منها بعد كل وجبة .

عزت تحمل فوق ما يتحمله كل البشر ، لقد عاني معاناة البشر كلها وأكثر . وكما قال الشاعر « ضاقت ولما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج » فقد فرجت أخيرا علي عزت حيث الحق بالعمل في أحد محاجر أسوان كسائق لسيارة نقل تنقل

الأحجار من المحجر إلي داخل المدينة ، وقد ودع عزت أيام الفقر والحاجة وعاش حياة الاستقرار في رغد من العيش كان لا يقلقه إلا غياب ابنته صفاء فهو دائم التفكير فيها،كان غياب ابنته عنه وحرمانه منها يسبب له قلقا شديدا ويبعد النوم عن جفنيه . وذات ليلة أخذ يفكر فيها و في حياة الضياع والتشرد التي عاشها وهو يتقلب في الفراش وهو لا يدري إذا كان هو الذي يتقلب في الفراش ! أو الفراش الذي يتقلب به و لمعت عيناه بطبقة من الدموع عندماطاف بذهنه – في شبه شريط سريع–ذكري ليال طويلة مرت به ، وهو يفكر في ابنته وفي حياة الضياع والتشرد التي عاشها وامتزجت اليقظة بالمنام ! وتلاشت الحدود بين أحلام اليقظةالمضيئة وكوابس الظلام الدامس .

في هذه الليلة كان قلقا ومتوتر الاعصاب من كثرة تفكيره فيها وبات ليلته مسهد العينين يتقلب في فراشه في ضيق وزهق شديد وكأن بجسمه جمرات من نار.وظل هكذا إلي أن انبلج نور الصباح ويبارح عزت الفراش ويتجه نحو مرآته وأخذ ينظر الي نفسه طويلا في المرآة ،ويتحسس بشرته والغضون المعتمةاسفل عينيه من السهر ثم يبتسم بلا مبالاة يحاول تنسيق شعره فلا يلبث أن يتبرم ويزيد نكشه في ضيق وزهق ثم ينصرف عن المرآة ويجلس علي احد المقاعد ويشعل سيجارة يدخنها في شراهة ثم

يروح في استغراق حلمي يحلم حلما من أحلام اليقظة ، يري نفسه فيه يرتدي حلة جديدة أنيقة ويتقبل تهاني المدعوين بزواج ابنته صفاء التي كانت تجلس بكوشة الزفاف وبجوارها هشام المحامي ابن المستشار كامل العلايلي في قاعة الافراح بأحد الفنادق الكبري وراقصة درجة أولي ترقص أمام العريس والعروس الجالسين في كوشة الزفاف تحيط بهما باقات الزهور ، وأمامهما المدعوون والمدعوات يصفقون بأيديهم علي واحده ونص للراقصة. وبعد فترة وجيزة تبدأ الزفة بالطبول ومغنية الحفل تتغني بأغنية الافراح! اتمخطري يا حلوة يا زينة وصفاء وهشام يسيران بين المدعوين والمدعوات إلي غرفتهما وينصرف المدعوون والمدعوات وهم يهنئون عزت . وغادر عزت المكان بعد أن خلي إلا منه وإذ احتواه ظلام الطريق كانت السماء تساقط دفعها الماء الغزير المنهل فالتصق بجدار أحد الأبنية السامقة يحمي بدنه الواهن من البلل، وعلي غير هدي راح يدب ضعيفا مهدما متعثر الخطوات في طريقه نحو غرفته المتواضعة المظلمة في أحد الكفور المتطرفة في مدينة اسوان وسحت عيناه دموعا فسقي الورود البيضاء ورود ابنته التي أخذها من باقات الزهورالتي كانت في حفل زفاف ابنته صفاء - بدموعه ونكس رأسه حتي لامس جبينه الأزهار المنداة فدفن وجهه فيها وتمني لو استطاع أن

يظل هكذا إلي الأبد .. كان يستنشق في عبقها عطر ابنته وحبها له . وبعد أن أفاق من حلمه تنهد تنهيدة تنم عن المرارة والأسي ثم قام من جلسته واتجه نحو النافذة الموجودة بالغرفة وفتحها يتأمل فيما حوله وبعد أن انتعش من نسمة الصباح ابتسم ابتسامة أمل وتفاؤل وحدث نفسه قائلا :لن أيأس أبدا ..إنني دائما يحدوني الأمل في أن التقي بصفاء مرة أخري وأبقي معها بقية أيام حياتي بعد أن تتحسن الظروف وتتيح لي الأقدار ذلك ..

«تمت بعون الله وتوفيقه»

رقم الايداع ٩٨/٣٨٥١
الترقيم الدولى I.S.B.N.
977-5284-22-8